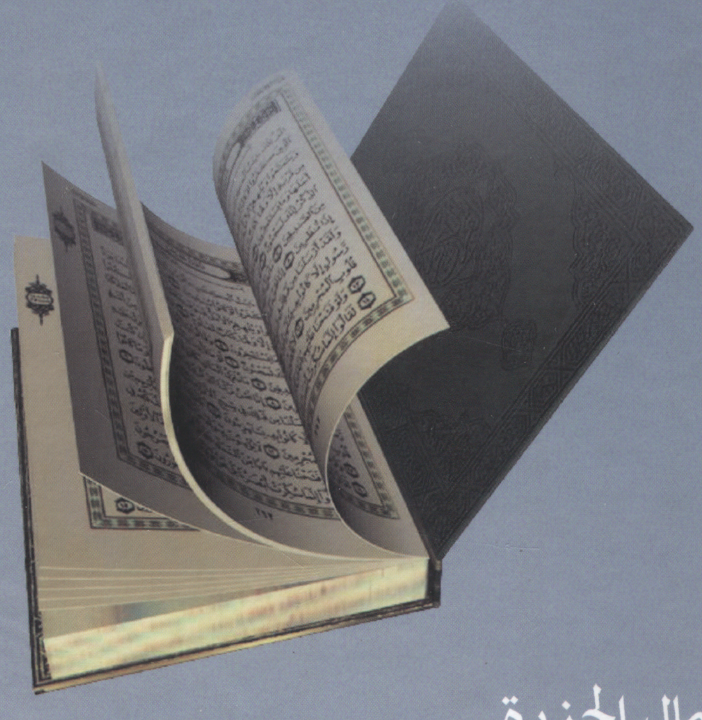
نفحات في إعجاز القرآن الكريم البياني



خميس كمال الجزرة

محمد وليد حرزالله





نفحات في

إعجاز القرآن الكريم البياني

رقم الإيداع لدى المكتبة الوطنية (2007 / 6 / 1583)

225.3

حرزالله، خميس

نفحات في إعجاز القرآن الكريم البياني/ خمس الجزرة، محمد وليد حرز الله . - عمان، دار غيداء، 2007.

( ) ص

ر.أ: (2007 / 6 / 1583).

الواصفات:/ الثقافة الإسلامية // الإسلام//المجتمع الإسلامي/

❖ تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية



دار غيداء للنشر والتوزيع

وسط البلد - شارع الملك حسين - مجمع الفحيص التجاري - الطابق الأرضي

تلفاكس: 4615510 6 962+ - ص.ب 520946 عمان 11152 الأردن

E-mail: info@darghaidaa.com www.darghaidaa.com

نفحات في
إعجاز القرآن الكريم البياني

تأليف

خميس كمال الجزرة

محمد وليد حرز الله

تقديم ومراجعة

أ. سامي محمد هشام حريز

ماجستير التفسير وعلوم القرآن

-الجامعة الأردنية-

الطبعة الأولى

2008م - 1428هـ

الإهـداء

إلى والديّ العزيزين الغاليين اللذين قدما إليّ المساعدة المعنوية والفعلية المناسبة في إعداد كتابي هذا

أهدي هذا الكتاب..

"خميس"

إلى من ساعدني وحثّني على العلم..وكان كالنبراس يضيء دربي..

إلى من علّمني كيف يكونُ الجدّ والعمل والإصرار..

بنفسي وعملي..

إ [illegible] عطفه فكان الصديق

والأخ المعطاء..

إلى من علّمنا كيف يكون العمل بكلّ حبّ وصدق..

إليك أُهدي عملي المتواضع هذا علّه يكون رداً صغيراً على هذا العطاء..

إلى أستاذي: سامي حريز.

أثابكَ الله عمّا فعلت وأدامكَ نوراً في دروب طلاب العلم .

إليك جهدي هذا عساهُ أن ينالَ إعجابك..

"محمد وليد"

المحتويات

تقـديم:

الحمد لله الذي شرّف وكرّم هذه الأمة بإنزال كتابه المبين عليها، هدىً ونوراً ورحمة للبشر أجمعين..

والصلاة والسلام على أفصح الناس منطقاً، وأشرفهم لساناً، وأثبتهم جناناً، سيدّنا وحبيبنا وقائدنا محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلّم تسليماً مزيداً..

أمّا بعد:

فجميعنا يعلم بأن القرآن الكريم هو معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم الخالدة، وأنه كتاب الهداية والنور للبشر أجمعين، فهو بذلك كنز المعارف ونور العقول.. ولكل سورة منه روحها الجاذب ووقعها المؤثر، مما يجذب العقل، ويستولي على القلب ويأسر المشاعر.. ولذلك فعلى الدعاة أن يستمدوا من نبعه الهدايات ويقتبسوا من نوره مشاعل الحضارات.

ومهما قرأنا وكتبنا عن إعجاز القرآن فسوف يظل في النفس إحساس ينطلق بسر لم تكشف عنه كل هذه القراءات والكتابات..

وإن السر في إعجاز القرآن: هو في عجزنا أن ندرك ذلك السر.

فسبحان منزل القرآن !! ولذلك فإن موضوع (إعجاز القرآن) هو من أعظم الموضوعات القرآنية التي سطّرها العلماء وطلبة العلم.

وكم هي جميلة تلك الحياة التي يحياها المسلم في ظلال كتاب الله تعالى متدبراً ومتأملاً ومستنشقاً لأحكامه ومعالمه وبيانه وبلاغته..

وها هي الدراسة التي بين أيدينا والمعنونة بـ (نفحات من إعجاز القرآن الكريم البياني) تطل علينا حاملة في طيّاتها أريجاً معطراً وفواحاً من كتابٍ عظيمٍ لخالق عظيم. إنّه القرآن الكريم المنزل من عند الله تعالى (الذي أعجز البشر قاطبة)، وعجائبه لا تنتهي ولا تنقضي..

ويتصدّى لهذه الدراسة شابان من طلبة العلم، تجمعني بهما الأخوة والمحبة في الله، وأحسبهما من الصالحين، ولا أُزكّي على الله أحداً.

الأول منهما: الأخ "خميس كمال الجزرة"، الذي تناول القسم الكبير من هذه الدراسة، وهو الجانب النظري بتقسيماته وفروعه المتعددة..

والثاني: الأخ "محمد وليد حرز الله"، الذي تناول تفسيراً موجزاً لسورة الإخلاص، كنموذج تطبيقي للإعجاز البياني البلاغي..

وقد قمت أنا بدوري الشخصي بتعزيز الكتاب بتسجيل وقفتين تطبيقيتين لإعجاز القرآن البياني: الأولى: مع سورة العصر. والثانية: مع معنى الكوثر ـ من معين إعجاز القرآن البياني ـ.. وقد نشرتهما مسبقاً في صفحات مجلة البيان الإسلامية.

وأيضاً أود التنويه: بأنه كان لي تجربة في تأليف كتاب عن الإعجاز البياني، وهو "نظرات من الإعجاز البياني في القرآن الكريم – نظرياً وتطبيقياً–"، وقد لاق رواجاً – لا بأس به – والحمد لله، وقد تناولت فيه الإعجاز البياني نظرياً مبيّناً موقعه بدقّة من بين وجوه الإعجاز القرآني إجمالاً، وقمت فيه بدراسة بيانية تطبيقية لثلاثة نماذج بناءً على ما سجلته من معلومات نظرية، محللاً وناقداً على أصول البحث العلمي.

هذه التجربة، إضافة إلى أنني من أصحاب التخصص، جعلتني أقوم بتقديم هذا الكتاب الرائع فيما يطرحه من موضوعات شيّقة تتميّز بالاختصار وتنّوع المعلومات، أضف إلى ذلك، سهولة عباراته وسرعة فهمها ليتناسب مع مستويات قارئيه.

والآن أدعو القارئ الكريم أن يعيش في أجواء هذا الكتاب المبارك.. وأسأل الله تعالى أن ينفع به ويكون سبباً للهداية، وأن يجزي مؤلفيه خير الجزاء على ما قدّماه وأن يزيدهما علماً.. وأن يكونا من أهل العلم والعمل..

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

بقلم

سامي حريز

مقدِّمة:

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلٌ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلوات الله وسلامه عليه..

أما بعد:-

فإن القرآن الكريم هو الآية الأولى للرسول صلى الله عليه وسلم، وهو معجزته الكبرى التي قدَّمها للناس، واعتبره دليلاً على نبوَّته ورسالته للعالمين، وإن القرآن هو وحيُ الله إليه، فهو كلامُ الله سبحانه، وليس من تأليف محمد صلى الله عليه وسلم.

وإن القرآن قد تحدّى الكافرين، وطالبهم أن يقدموا من بيانهم وكلامهم مثلَه. أو مثل سورة منه، أو مثل عشر سورٍ منه. ولكنهم لم يقدروا على ذلك وبذلك عجزوا عن معارضته، ووقفوا عاجزين أمامه، وبذلك كان القرآن معجزاً لهم، وهذا هو معنى إعجاز القرآن.

فإعجاز القرآن حقيقة قاطعة، وبديهية مقررة، أقر بها المسلمون والكافرون، المسلمون بتدبرهم للقرآن، وتذوقهم له، وإيمانهم به، والكافرون بإقرارهم بعجزهم عن معارضته، واعترافهم بإعجازه لهم.

إن إعجاز القرآن وسيلة إلى هدف عظيم وغايةٍ سامية، وليسَ هدفاً بحدٍّ ذاته أو غايةً يُرادُ تحقيقها. إن الهدف من دراسة الإعجاز هو إثبات مصدر القرآن الرباني، وأنه كلام الله سبحانه، وليس كلام محمد صلى الله عليه وسلم، والإقرار برسالة ونبوّة محمد عليه الصلاة والسلام، وأن الله بعثه رسولاً ونبياً ورحمة للعالمين.

وهو دليل واضح بارز من أدلةٍ كثيرة، على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم. وعلى أن القرآن هو كلام الله سبحانه، وليس الإعجاز هو الدليل الوحيد على هذه القضية العظمى.

ويجب إقامة الدليل على إعجاز القرآن، وإثبات ذلك بالأدلة، والشواهد، فإذا ثبت إعجازه – وهو ثابت- ثبتت الدعوى، وهي أن القرآن هو كلام الله سبحانه.[1]

إن المعادلة يجب أن تكون هكذا: القرآن معجز، فهو كلام الله، وكم أخطأ الذين عكسوا المعادلة، وقالوا: القرآن معجز، لأنه كلام الله.

إن علوم القرآن هي أشرف العلوم وأعلاها، وهي غايتها ومنتهاها والمتعمق فيها حاصل على أجلى الغايات وأوفاها، ولذلك فحريٌّ بطالب العلم أن يشغل أوقاته بما يعود عليه من الأجر والمثوبة من الله تعالى أولاً، والفائدة العلمية ثانياً، بالتفكير والتدبر في آيات كتاب الله تعالى عز وجل ولما كان القرآن الكريم هو كنز المعارف ونور العقول لذلك أردت التحدث عن أحد علومه. ولما كان الإعجاز البياني أعظم وجوه إعجاز القرآن الكريم وأهمّها، لأنهُ ينتظم القرآن الكريم كله بل هو أتمها، لأنهُ عام في القرآن كله لا تخلو منه سورة على قصرها . أردت التحدث بالتحديد عن الإعجاز البياني في هذا الكتاب.

والأسباب التي دعتني لاختيار هذا الموضوع بالذات، ما يلي:-

1) أهمية هذا الموضوع، حيث أنه يتعلق بالأصل الأول من أصول الشريعة الإسلامية وهو القرآن الكريم ويبين أهم أنواع إعجازه وهو الإعجاز البياني.

2) بسبب أن الإعجاز البياني هو أبرز وأظهر وأشهر وجوه الإعجاز .

3) حبي الكبير للقرآن الكريم الذي هو معجزة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

4) بسبب أن هذا الموضوع من علوم القرآن و بدراستها يكون الأجر الكبير من الله تعالى.

وحسب إطلاعي المتواضع، فإن هناك دراسات عديدة حول الإعجاز البياني في القرآن الكريم منها:-

1) البيان في إعجاز القرآن للدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي.

2) الإعجاز البياني في القرآن لعائشة عبد الرحمن – بنت الشاطيء-.

3) بلاغة الكلمة في التعبير القرآني للدكتور فاضل السامرائي.

4) التصوير الفني في القرآن للشهيد الأستاذ سيّد قطب.

5) خطوات التعبير البياني للقرآن لمحمد رجب بيومي.

وغيرها الكثير من الكتب التي تتحدث عن الإعجاز في القرآن الكريم دون تحديد نوع أو وجه محدد من وجوه الإعجاز، ومن هذه الكتب:-

1) إعجاز القرآن الكريم للأستاذ الدكتور / فضل عباس وابنته سناء عباس.

2) دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجاني.

3) إعجاز القرآن للإمام الباقلاني.

وهناك دراسة معاصرة بعنوان: (نظرات من الإعجاز البياني في القرآن الكريم – نظرياً وتطبيقياً-) لأستاذي الفاضل (سامي محمد هشام حريز) والذي تشرفت بتقديمه ومراجعته لهذا الكتاب. وهي دراسة مميّزة حقاً، جمع فيها صاحبها الجانب النظري مع الجانب التطبيقي بمنهجية علمية سديدة.

أما كتابي هذا فإنهُ يتميز بسهولة عباراته واستخدام الألفاظ المفهومة والقريبة من القارئ، بالإضافة إلى تنوع المواضيع التي يمكن أن يستفيد منها كل من يبحث في هذا المجال، فالذي يقرأ هذا الكتاب يصبح ذا معرفة لا بأس بها عن الإعجاز

البياني، فإني حاولت أن أجمع كل الأمور التي يستفيد منها طالب العلم الشرعي وطالب علوم القرآن بالتحديد .

ومن المواضيع التي قلّ التحدث عنها في الكتب ذات الصلة، هو موضوع تأثر الناس بالقرآن و بإعجازه و فصاحته، فإني هنا عرضت قصص إسلام لكثير من العلماء والشخصيات الذين أعلنوا إسلامهم بعدما تعرفوا على إعجاز هذا القرآن العظيم.

ومن الأمور التي أخذتها بعين الاعتبار هو تفصيل مقدمة وفهرسة هذا الكتاب لكي يواكب طبيعة القراء الذين يهتمون بمواضيع محددة فبينت جميع المواضيع وميزات بعضها في المقدمة أو في الفهرس.

ومواضيع الفصل الأول: القرآن الكريم وتنزيله وإعجازه:

ويندرج تحته مبحثين.

الفصل الثاني: قبسات من الإعجاز البياني في القرآن الكريم:

ويندرج تحته ثلاثة مباحث وللمبحث الثالث مطلبين.

الفصل الثالث: الرد على فرية الحشو:

يندرج تحته مبحث واحد.

الفصل الرابع: الرد على قضية الزوائد.

ويندرج تحتها سبعة مباحث وبعض المباحث لها عدة مطالب.

الفصل الخامس: من علماء الإعجاز البياني.

ويندرج تحته أربعة مباحث ولكل مبحث عدة مطالب.

الفصل السادس: المحدثون والإعجاز البياني:

ويندرج تحته أربعة مباحث ولكل مبحث عدة مطالب.

الفصل السابع: قصص إسلام رجال تأثروا بالقرآن.

ويندرج تحته ثمانية مطالب.

وأتبع ذلك تسجيلاً للخاتمة: التي أُبين فيها أهم النتائج التي توصلت إليها في هذا الكتاب.

وسيتم- بإذن الله تعالى- عزو جميع ما يكتب إلى مصدره الأصلي، وإذا فاتني من هذا – وأرجوا أن لا يكون- فإنه من السهو الذي نرجو من الله تعالى أن يغفره.

وقد قمت بجمع المعلومات ونقلها أو تلخيص بعضها بموضوعية وإيجاز بالغين وأيضاً الرجوع إلى العديد من المراجع المهمة والثرية بالمعلومات والتي سوف أذكرها في قائمة المصادر والمراجع إن شاء الله.

أسأل الله تعالى أن يكون هذا العمل خالصاً لله تعالى فقط الذي لا إله إلا هو الخالق العليم الخبير الحي القيوم، بعيداً عن أي أمرٍ نهى عنه سبحانه.

قال تعالى: ﴿ **وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء**﴾[1] فأرجوا الله تعالى أن يتقبله مني ويكون في ميزان أعمالي ودخولي الجنة إن شاء الله تعالى.

والله من وراء القصد.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

خميس كمال الجزرة

---

(1) سورة البيّنة:[5] .

الفصل الأول

القرآن الكريم وتنزيله وإعجازه..

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: القرآن الكريم وتنزيله.

المبحث الثاني: القرآن الكريم وإعجازه.

المبحث الأول: القرآن الكريم وتنزيله

أنزل الله سبحانه وتعالى القرآن الكريم على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم بواسطة ملك الوحي جبريل عليه السلام، وقد تناقل المسلمون القرآن الكريم جيلاً بعد جيل حتى وصل إلينا كما أنزله الله تعالى سالماً من أي تحريف أو تغيير.

تعريف القرآن الكريم:-

القرآن الكريم: هو كلام الله تعالى المعجزُ المتعبد بتلاوته، المنزَّل على رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم باللغة العربية المنقول عنه نقلاً متواتراً. المبدوء بسورة الفاتحة، والمختوم بسورة الناس.

ومعنى أن القرآن الكريم معجزٌ أنَّهُ لا يستطيع أي مخلوق أن يأتي بمثلِهِ، والمتعبد بتلاوته: أي أنَّ المسلم يتقرب إلى الله تعالى بتلاوة آياته ولا تصح الصلاةُ إلا بقراءة ما تيسر منه، ومعنى أنهُ منقول نقلاً متواتراً، أي أنَّ جمعاً من الناس الثقات الذين لا يمكن اجتماعهم على الكذب، نقلوا القرآن الكريم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم نقلهُ عنهم جمعٌ كبير مثلهم، حتى وصل إلينا.

مقاصد القرآن الكريم:

أنزل اللهُ القرآنَ الكريم؛ لهداية الناس جميعاً إلى الإسلام، وتخليصهم من الشرك وعبادة غير الله تعالى وإسعادهم في الدنيا والآخرة، قال الله تعالى + الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ۝١" [سورة إبراهيم: 1]

ومن مقاصد وأهداف القرآن الكريم ما يأتي:-

1) تعريف الناس بخالقهم، وبيان حق الله تعالى على عبادِهِ، بأنْ يعبدوه وحده ولا يشركوا به شيئاً، ويؤمنوا بأركان العقيدة الإسلامية جميعها.

2) إرشاد الناس إلى الخير والصلاح وتحذيرهم من الشر ومن عصيان الله تعالى ومخالفة أمره.

3) بيان الأحكام الشرعية التي تنظم حياة الناس وتحقق مصالحهم، وتبين ما لهم من الحقوق، وما عليهم من الواجبات العامة والخاصة، في مجال الأخلاق والمعاملات والعبادات.

وفي ضوء التزام الناس بهذه المقاصد يتقرر مصيرهم في الدنيا والآخرة. قال تعالى ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ **[سورة الإسراء:9]** ﴾

نزول القرآن الكريم:-

بدأ نزول القرآن الكريم على رسول الله صلى الله عليه وسلم، في ليلة السابع والعشرون من شهر رمضان المبارك، واستمر نزوله مفرقاً حسب الحوادث والوقائع وحاجات الناس مدة ثلاث وعشرين سنةً، فلم ينزل كلُهُ على النبي صلى الله عليه وسلم دفعةً واحدةً وكانت أول الآيات نزولاً تلك التي نزل بها جبريل عليه السلام، في غار حراءٍ، في أول لقاء مع الرسول صلى الله عليه وسلم. أما آخر أية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فهي قولُهُ تعالى:﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [سورة البقرة: 281].

حكمة نزول القرآن الكريم مفرقاً وليس دفعة واحدة: اعترض المشركون على نزول القرآن مفرقاً، وطلبوا أنْ ينزلَ دفعةً واحدةً، وقد ردّ الله على اعتراضهم وبين الحكمة من ذلك فقال سبحانه ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾ [الفرقان:32]

فقد بينت هذه الآية الكريمة وغيرها حكمة نزول القرآن الكريم مفرقا ومنها:

1) التدرج في تربية الناس وانتزاع عقائد الشرك ومفاسده من النفوس بما يتناسب مع وقوع الحوادث و تجدد الحاجات.

2) تمكين النبي صلى الله عليه وسلم من قراءة القرآن الكريم على الناس على فترات، فيسهل عليهم فهمه وحفظه، وتدوينه. قال الله تعالى: ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ ﴾ [الإسراء:106]

3) تثبيت فؤاد النبي صلى الله عليه وسلم وتطمين قلبه، وباستمرار نزول الوحي عليه بالقرآن الكريم ليستمر في دعوته ويطمئن إلى عون الله تعالى ونصره.

المبحث الثاني: القرآن الكريم وإعجازه

إن معنى إعجاز القرآن الكريم عجز الناس على ان يأتوا بمثله، فكلمة إعجاز مصدر وإضافتها إلى القرآن من إضافة المصدر لفاعله فكأن التقدير أعجز القرآن الناس ان يأتوا بمثله او معنى ذلك أن هذا القرآن الكريم دلّ بما فيه من بيان على أنه من عند الله، وثبت عجز الناس عن أن يأتوا بمثله.

متى ظهرت كلمة إعجاز؟

من المفيد أن ننبّه هنا على أن هذا المصطلح لم يكن معروفاً في عهد النبوة والصحابة والتابعين إنما عُرِفَ فيما بعد، دليل ذلك كتاب الله تبارك وتعالى، فالكلمة التي كانت تقوم مقام المعجزة هي الآية. وهذا ما ورد كثيراً في كتاب الله تبارك وتعالى، قال تعالى﴿ وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَـٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْـَٔايَـٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾ ﴾ [الإسراء:59].

وقال تعالى ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَـٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْـَٔايَـٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ [العنكبوت:50-51]

فالآية والآيات هي التي عُبّر عنها بالمعجزات فيما بعد، ولكن متى ظهر هذا المصطلح؟ يغلب أن مصطلح الإعجاز والمعجزة لم يظهر قبل القرن الثاني الهجري، ولقد نشأ في بيئة المتكلمين الذين كانوا يدافعون عن القرآن الكريم، ويردون أباطيل الملاحدة والزنادقة وأهل الزيغ والأهواء، وهو مصطلح له ما يؤيده من اللغة.

وجوه الإعجاز في القرآن الكريم: -

وإذ كان المسلمون والمنصفون من غيرهم مجمعين على أن القرآن الكريم كتاب معجز، وهو المعجزة العظمى لسيدنا محمد –صلى الله عليه وسلم- أقول إذا كان هؤلاء وأولئك متفقين على هذا أو متفقين على أن بيان القرآن وبلاغته ونظمه من أعظم ومن أهم وجوه إعجازه فلقد اختلفوا فيما وراء ذلك..

رأى بعضهم أن القرآن معجز ببيانه فحسب وذهب أكثر العلماء إلى أن وجوه الإعجاز كثيرة ومتعددة فهناك الإعجاز البياني، وهناك الإعجاز التشريعي والخلقي والعلمي وغيرها من الوجوه. والقائلون بتعدد هذه الوجوه مجمعون على أنّ الإعجاز البياني هو أعظم هذه الوجوه وأهمها وأعمُها، ذلك لأنهُ لا تخلو منه آية من كتاب الله تعالى أما الوجوه الأخرى فليست كذلك، فهي مفرّقة فيه.

ويقيننا أن القرآن الكريم معجز بكل ما تتسع له كلمة الإعجاز وبكل ما يشتمل عليه القرآن الكريم من مجالات متعددة، ولكننا مع ذلك نرى أنهُ لا بد من تحديد أوجه الإعجاز الحرية بأنه سيتحدث عنها المتحدثون، وحيث أسهب بعض الكاتبين، وهم يتحدثون عن هذه الوجوه فأوصلها بعضها إلى نيف[1] وثلاثين وجهاً ولكن عند التحقيق نجد أنه أكثرها لا يستحق أن يذكر وجهاً خاصاً على حدة أو من الوجوه التي ذكروها:-

1) الإعجاز بالنظم.

2) الإعجاز بالأسلوب.

3) الإعجاز بعدم التناقض.

4) أخبار الماضي.

---

(1) معترك الأقران في إعجاز القرآن للسيوطي

5) أخبار المستقبل.

6) الإعجاز التاريخي.

7) الإعجاز الأخلاقي.

8) الإعجاز النفسي.

9) الإعجاز الروحي.

10) الإعجاز التشريعي.

11) الإعجاز العلمي.

12) الإعجاز العددي.

13) الإعجاز التربوي.

إلى غير ذلك مما عددوه، لكننا بعد روي وإجالة فكر، نجد أن كثيراً من هذه الأوجه يندرج مع غيره، فالإعجاز الخلقي والتربوي يمكن أن يندرج في الإعجاز التشريعي، كذلك الإعجاز النفسي والروحي، والأسلوب والنظم نستطيع أن نجعله كله في باب واحد وهو الإعجاز البياني.

أمّا الأوجه التي أريد تفصيلها:

الوجه الأول:

الإعجاز العلمي:-

هو أبرز وجوه الإعجاز في هذا العصر، فلقد وقع العلماء المسلمون المعاصرون على آيات كثيرة ذات مضامين علمية، وفسروا هذه الآيات تفسيراً علمياً، وقدّموها للمثقفين المسلمين فزادت ثقتهم بالإسلام والقرآن، وقدّموها للمثقفين العلمانيين فقربتهم إلى عالم القرآن والالتزام وقدّموها إلى العلماء الغربيين، فدهشوا لما فيها من صدق علمي يتفق مع أحدث الحقائق العلمية المعاصرة

فأحسنوا الظن بالإسلام وقالوا بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقادت بعضهم إلى عالم الإسلام والإيمان، فأسلم وصار من المسلمين، مثل الدكتور موريس بوكاي الذي سوف نتحدث عن قصة إسلامه فيما بعد إن شاء الله.

من العلماء الذين اهتموا بالإعجاز العلمي في القرآن الكريم:

طنطاوي جوهري، ومحمد أحمد الغمراوي، ود. محمد جمال الدين الفندي، عبد الرزاق نوفل والشيخ عبد المجيد الزنداني، والشيخ محمد متولي الشعراوي.

من الأمثلة على هذا الإعجاز:-

أ) قال الله تعالى﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ [المؤمنون12-14]

كان الاعتقاد عند العلماء أنَّ الإنسان يخلق كُلُّهُ دفعة واحدة في رحم أمّهِ ثم يبدأ ينمو شيئاً فشيئاً، وبعد التقدم العلمي اكتشف علماء الأجنة أنَّ الإنسان إنما يخلق نطفة أولاً ثم يصير علقة ثم مضغة، ثم تبدأ الأصول الأولى للعظام في التكوين، ثم تتكون بعدها الأصول الأولى للعضلات اللحمية التي تكسو العِظام، وهذا ما نطق به القرآن الكريم على لسان النبي الأمي محمد صلى الله عليه وسلم فتبارك الله أحسن الخالقين.

ب) قال الله تعالى ﴿ **ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون**[1] ﴾ وقال الله تعالى ﴿ **سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما**

(1) سورة الذاريات: [49].

لا يبصرون[1] ﴾ يبين الله تعالى لنا في هاتين الآيتين أن نظام الزوجية يعم جميع المخلوقات من أصغر شيء إلى أكبر المجرات، فنظام الزوجية الذي نشاهده في عالم الإنسان والحيوان، موجود في عالم النبات بل وفي سائر المخلوقات، ولقد كَشَفَ العلم الحديث وجود هذا النظام فتبارك الله أحسن الخالقين، ومن أمثلة ذلك الذكر والأنثى في الإنسان والحيوان والنبات والسالب والموجب في تكوين الذرة، وغير ذلك.

الوجه الثاني:

الإعجاز الغيبي:

هو أنباء الغيب وأخباره التي أوردها القرآن، حيث اشتمل القرآن على كثير من أنباء الغيب فيه، وإدراك هذا الوجه من وجوه الإعجاز لا يحتاج إلى ذوق بياني وثقافة أدبية لغوية، إنما يحتاج إلى ثقافة علمية إخبارية تاريخية، وهذه يمكن أن تتوفر لدى العربي وغير العربي.

وأنباء الغيب في القرآن تدل على مصدره، وأنه من عند الله لا من تأليف محمد صلى الله عليه وسلم لأنهُ لا سبيل له ولا لقومه بتلك الأخبار ولا بمعرفتها وتحصيلها.

1) ألوان الإعجاز الغيبي:-

اللون الأول: غيب الماضي: ويقصد به أنباء القرآن عن أخبار الماضي وقصص السابقين، وما أورده من معلومات وروايات وتفصيلات تتعلق بهم، ومقارنة هذه الأنباء القرآنية بأخبار التاريخ والاكتشافات الأثرية وبعضهم يسمي هذا اللون من ألوان الإعجاز الغيبي (الإعجاز التاريخي).

---

(1) سورة يس: [36].

اللون الثاني: غيب الحاضر: ويقصد به أنباء القرآن عن الموجودات الحاضرة والتي لا يراها الإنسان، وبيانُ تفصيلات حياتها، مثل الملائكة والجن والشياطين، ويشملُ أيضاً تعريف الناس على صفات الله سبحانه، كما يشملُ كشف القرآن لمؤامرات ومكائد الكافرين والمنافقين قبل تنفيذهم لها.

اللون الثالث: غيب المستقبل: ويقصد به الآيات القرآنية التي تخبر عن أشياء وأحداث ستحدث في المستقبل، وتحقيق مدلول تلك الآيات فيما بعد، ووقوع تلك الأحداث فعلاً كما أخبرت الآيات.

وبعضهم يسمي هذا اللون من ألوان الإعجاز الغيبي (الإعجاز في الأخبار المستقبلية).

2) ومن الأمثلة على الإعجاز الغيبي:

قال تعالى:﴿ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُوْلَٰٓئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [القمر:43-45] وتدل هذه الآية على أخبار القرآن في مكة عن انتصار المسلمين وهزيمة المشركين وهذه تدل على اللون الثالث من ألوان الإعجاز الغيبي.

الوجه الثالث:-

الإعجاز التشريعي:-

المقصود بالإعجاز التشريعي تشريعات القرآن ونظمه ومناهجه، والمبادئ التي قررها أو القيم التي دعا إليها والأسس التي أرساها، والهداية التي هدف إليها.

لقد تضمن القرآن الكريم تشريعات ومناهج ومبادىء ونظماً، شملت كافة مجالات الحياة سواء حياة الفرد أو حياة المجتمع، وسواء الجانب العقدي أو العبادي أو الأخلاقي أو الاجتماعي أو الاقتصادي أو السياسي أو الدولي أو الدستوري أو

العسكري أو غير ذلك ولدى المقارنة بين ما أقره القرآن من المبادئ والتشريعات في تلك المجالات والجوانب المختلفة، وبين ما أقرته البشرية في تاريخها الطويل وما اهتدت إليه عقول عباقرتها ومفكريها وعلمائها، يظهر الفرق البعيد بين تشريعات القرآن وتشريعات البشر، ومن ذلك نتعرف على الإعجاز التشريعي في القرآن الكريم.

وحول هذا المعنى يقول سيّد قطب رحمه الله: "الذين يدرسون النظم الاجتماعية، أو الأصول التشريعية ويدرسون النظام الذي جاء به هذا القرآن، يدركون ان النظرة فيه إلى تنظيم الجماعة الإنسانية ومقتضيات حياتها من جميع جوانبها، والفرصُ المدخرة فيه لمواجهة الأطوار والتَّقلُّبات في يسر ومرونة.. كل أولئك أكبر من أن يحيط به عقل بشري واحد، أو مجموعة العقول في جيلٍ واحد أو في جميع الأشياء"[1].

ومن الأمثلة على الإعجاز التشريعي:-

1. الوضوء والتيمم والغسل.
2. تشريع الصيام.
3. تحريم الميتة والدم والخنزير.
4. تحريم الربا.
5. التشريع الإسلامي حول الدين.

1). **الوضوء والتيمم والغسل:-**

أمر الله المسلمين بالوضوء عند القيام إلى الصلاة، وجعل الوضوء شرطاً للصلاة فإذا لم يتمكنوا من استعمال الماء فعليهم التيمم، قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا

(1) الظلال 3 صفحة 178.

ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٦﴾ [سورة المائدة:6]

وتشير الآية إلى الحكمة من هذا التشريع العبادي:

﴿ ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج، ولكن يريد ليطهركم..﴾

اشتراط الوضوء أو التيمم، واشتراط الاغتسال للجنب، لأن الله يريد أن يطهرنا، وأن يتم نعمته علينا، وحتى نشكره سبحانه على نعمه الكثيرة، أي أننا نتوضأ أو نتيمم أو نغتسل فإنما نشكر الله. وبعض المسلمين يظن أن الحكمة من تشريع الوضوء هو النظافة أي أن المسلم ينظف أعضاء الوضوء مثل أدائه الصلاة، ولسنا معهم في ذلك، ليست النظافة هي الحكمة من الوضوء، فلو كانت هي المقصودة لكان البديل عن الماء عند فقده أو العجز عن استعماله محققاً للنظافة أي لكان التيمم بالتراب بهدف تعقيم وتنظيف أعضاء التيمم!

هل التيمم بالتراب يحقق النظافة؟ هل مسح الوجه واليدين بالتراب أو الغبار يحقق النظافة؟ فقول سيد قطب عن حكمة الوضوء والتيمم (يبدو أن حكمة الوضوء أو الغسل ليست هي مجرد نظافة، و إلا فإن البديل من أحدهما أو من كليهما لا يحقق هذه الحكمة فلا بد إذن من حكمة أخرى للوضوء أو الغسل تكون متحققة كذلك في التيمم!!

ولا نريد نحن أن نجزم ولكننا نقول فقط أنهما ربما كانت هي الاستعداد النفسي للقاء الله لعمل ما يفصل بين شواغل الحياة اليومية العادية، وبين اللقاء العظيم الكريم.. ومن ثم يقوم التيمم – في هذا الجانب- مكان الغسل أو مكان الوضوء ويبقى وراء هذا علم الله الكامل الشامل اللطيف بدخائل النفس، ومنجاتها ودروبها، التي تعمل ولا يعلمها إلا اللطيف الخبير) وحكمة الاغتسال من الجنابة (وإن كنتم جُنباً فاطهروا) إنها ربما كانت حركة عملية عن معنى نفسي، إن الإنسان عندما يقضي شهوته فإنه يحقق حاجة فطرية ونفسية أصيلة في كيانه، ثم أن كل جزء من أعضاء جسمه يتلذذ عند قضاء الشهوة ويشارك في هذه العملية الجنسية، ولهذا فإن الاغتسال لإزالة الجنابة ورفع الحدث. إن الإنسان يغتسل (شكراً لله) الذي يسّر له قضاء شهوته، وتلبية الحاجة النفسية عنده، وهو يغسل كل جزء من جسمه بالماء وكأن كل جزء من جسمه[1] يشارك في شكر الله مشاركة عملية مادية، لأن كل جزء يشارك في الاستمتاع والتلذذ عند قضاء الشهوة، ولعله لأجل هذا المعنى خُتمت آية الوضوء والغسل والتيمم بقوله ﴿ **ولعلكم تشكرون** ﴾ والله أعلم.

الوجه الرابع:

الإعجاز البياني:-

هو الوجه الظاهر البارز الواضح في إعجاز القرآن وإن الإعجاز البياني يوم على البيان والبلاغة والفصاحة.

إن هذا الإعجاز البياني هو الوجه البارز في الإعجاز؛ لأن العرب في العصر الجاهلي كانوا من أرفع وأرقى وأسمى مستوى من البيان والفصاحة والبلاغة،

---

(1) البيان في إعجاز القرآن للدكتور صلاح الخالدي.

كانوا أقوى شيء في بيانهم وإن المستوى البياني للعرب والمسلمين في العصور الإسلامية اللاحقة كانَ أقلَّ من مستوى العرب البيانيّ في العصر الجاهلي.

ونظراً لهذا المستوى البياني الرفيع. كان البيان هو الموضوع الذي تحدّى به القرآن العرب لأن التحدي يكون فيما مهر به العرب وتفوقوا به.

إن البيان هو الذي تحدّى به القرآن العرب. وأن المثلية المطلوبة منهم كانت مثلية بيانية حيث طالبهم بالإتيان بسورة مثل القرآن في البيان، أو بعشر سور مثله في البيان أو بحديث مثله في البيان، ولم تكن المثلية المطلوبة منهم مثلية في العلم، ولا في التشريع ولا في أنباء الغيب ولا في غير ذلك من معاني القرآن وموضوعاته.

كان التحدي لهم تحدياً بيانياً. وكانت المثلية المطلوبة منهم مثلية بيانية، فلما عجزوا عن المعارضة كان عجزهم بيانياً، وبهذا يكون القرآن قد أعجزهم إعجازاً بيانياً [1]

(1) البيان في إعجاز القرآن للدكتور صلاح الخالدي ص 136.

الإعجاز البياني هو مناط التحدي:

تحدّى القرآن العرب بما يتقنونه ويجيدون فيه، وهو البيان والبلاغة والفصاحة، ولمّا طالبهم بمثل القرآن، أراد مثله في البيان والبلاغة والفصاحة. ولهذا قال لهم تعالى ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ [هود:13] وكلمة (مفتريات) ذات دلالة هامة في التحدي والعجز والإعجاز، فهي تشير إلى أن المطلوب منهم عشر سور مثل سور القرآن الكريم في بيانها وفصاحتها وبلاغتها وأسلوبها وليس مثل سور القرآن في علومها وموضوعاتها وأخبارها.

فلو كان مناط التحدي هو (الصدق التاريخي) في القصص والأخبار لما قال (مفتريات) ولو كان مناط التحدي هو (الصدق العلمي والموضوعي والتشريعي) في علوم القرآن وموضوعاته وتشريعاته، لما قال (مفتريات)[1].

لقد أعفى القرآن العربَ- عندما تحداهم – من العلوم والأخبار والغيوب والتشريعات والمعاني، وطالبهم بالبيان والأسلوب، وهو الصورة والشكل والقالب. طالبهم بألفاظ بليغة، وبيان فصيح، ولو كان هذا البيان مُفترىً غير صحيح.

وبما أن التحدي كان في البيان، وبما أن المطلوب منهم هو البيان لذلك كان عجزهم في البيان، وكان القرآن معجزاً لهم في البيان. وكان **﴿ الإعجاز البياني ﴾** هو وجه الإعجاز الذي كان به التحدي.

---

(1) البيان في إعجاز القرآن للدكتور صلاح الخالدي ص 137.

قال سيد قطب في كتاب (التصوير الفني في القرآن) وهو يلاحظ هـذا الأمـر: كيف استحوذ القرآن هذا الاستحواذ؟ وكيف اجتمع على الإقرار بسحره المؤمنـون والكافرون على السواء؟

فهذا الوليد بن المغيرة على الرغم مـن كفـره لما سمـع بعـض آيـات القـرآن الكريم قال لقد سمعت من محمد كلاماً، ما هـو مـن كـلام الإنـس ولا مـن كـلام الجن، والله إنَّ له لحلاوةً وإنَّ عليه لطلاوة، وأنهُ ليعلو ولا يعلـى عليـه، فـإن الـذي وجدوه في القرآن الكريم فصاحة في اللفـظ وبلاغـة في المعنـى، ونـسق محكـم بـين الآيات، ووضع كل هذا وغيره جعله يقول: ما هو من كلام الإنـس ولا مـن كـلام الجنّ.

بعض الباحثين في مزايا القرآن، ينظر إلى القرآن جملة ثم يجيب، وبعضهم يذكر غير الشق الفني للقرآن أسباباً أخرى، يستمدها من موضوعاته بعد أن صار كـاملاً: من تشريع دقيق، ومن علوم كونية في خلق الإنسان والكون.

ولكنَّ البحث على هذا النحو إنما يثبت الميزة للقرآن مكـتملاً، فمـا القـول في السور القلائل التي لا تشريع فيها ولا غيب ولا علوم، ولا تجمع بطبيعة الحال كـل المزايا المتفرقة في القرآن؟ إن هذه السور القلائل، قد تبحرّ بها العرب منـذ اللحظـة الأولى، وفي وقت لم يكن التشريع المحكم ولا الأغراض الكبرى هـي الـتي تـسترعي إحساسهم، وتستحق منهم الإعجـاب يجـب إذن أن نبحـث عـن منبـع الـسحر في القرآن قبل التشريع المحكم وقبل النبـوءة الغيبيـة وقبـل العلـوم الكونيـة، وقبـل أن يصبحَ القرآن وِحْدةً مكتملة، تشمل هـذا كلـه، فقليـل القـرآن الـذي كـان في أيـام الدعوة الأولى كان مجرداً من هذه الأشياء التي جاءت فيما بعد وكان مع ذلك محتوياً على هذا النبع الأصيل الذي تذوقه العرب[1].

---

(1) التصوير الفني في القرآن 15-16 باختصار.

مراحل التحدي:-

إن تحدي القرآن كان في أكثر مِن آية، وفي أكثر من وقت واحد، وفي أكثر من مكان كذلك، لقد تعددت آيات التحدي وتعددت مراحله كذلك:

أولاً: تحدوا أن يأتوا بمثل القرآن من غير تعيين قدر معين، قال تعالى﴿ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَـٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [الطور:34]

ثانياً: ولما عجزوا أن يأتوا بمثله، أرخى لهم العنان مرة أخرى، قال تعالى﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَـٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [هود:13-14]

ثالثاً: فلما عجزوا ولم يستطيعوا أرخى لهم العنان، وخفّف عليهم المؤنة فاكتفى منهم بسورة واحدة قال تعالى ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [يونس:38]

رابعاً: ولكن القوم لم يراوحوا مكانهم فتحداهم وكانت المرة الأخيرة ان يأتوا بسورة تشبه القرآن، ولو من وجه من الوجوه، فقال سبحانه ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [البقرة:23-24]

أهمية الإعجاز البياني:-

إن أعظم وجوه إعجاز القرآن (الإعجاز البياني)، لأنه ينتظم القرآن الكريم كله، سوره على اختلافها طولاً وقصراً، أما الوجوه الأخرى من وجوه الإعجاز

سليقةً، يجعلنا لا ندرك هذه الدقائق ولا نتذوق معانيها إلا إذا فسرت لنا، فنحنُ العرب وغيرنا سواء. إن المحققين من العلماء ذهبوا إلى أن الاستعارة والتشبيه وأنواع البديع ليست من جوهر الإعجاز القرآني ولكن النظم وحده هو جوهر هذا الإعجاز والنظم – له جانبان اثنان: (فكري ونفسي) لذا فإن القول بأن الإعجاز البياني خاص بالعرب وحدهم رغم أنه يكاد يكون من المسلمات- بحاجة إلى إعادة نظر ولم أجد من نبه على هذه القضية من قبل، ولهذه الأسباب وغيرها كتبتُ في بحثي هذا عن الإعجاز البياني بالتحديد.

د- رأي الأستاذ سامي حريز في مفهوم إعجاز القرآن الكريم البياني[1]:

أود في هذه العجالة أن أُسجل رأيي الشخصي لمفهوم الإعجاز[2]، بداية أود قول جملة وهي:-

إنّ السر في إعجاز القرآن الكريم هو في عجزنا عن إدراك هذا السر، فسبحان منزل القرآن. والذي تطمئن له النفس: هو القول بالإعجاز البياني الذي نجده في القرآن الكريم كله، لا فرق في ذلك بين سورة صغيرة وسورة كبيرة.

وغير هذا الوجه الإعجازي من الوجوه التي اعتبرها العلماء: يمكن جعلها من قبيل الدلالة على المصدر الرباني للقرآن" ما قيل وما سيقال عنه مما يُكتشف".

وأعجبني رأي الأستاذ نعيم الحمصي في إعجاز القرآن الكريم والذي مفاده: بأن القرآن باغت بميزات أُدْرِكَ جمالها وعُجِزَ عن مثلها، ومن هذه الميزات/ ما يرجع إلى أسلوب القرآن الغريب الذي جاء مخالفاً لأساليب الكلام- عند العرب- وهي المميزات الظاهرة الواضحة، ومنها ما هو داخلي يدرك بالذوق ويصعب بيانه وتعليله، بل قد يكون متعذراً.

---

(1) يراجع كتاب سامي حريز: نظرات من الإعجاز البياني ص33، 44.

(2) هذا ما تقضيه المنهجية السديدة.

فليس الأمر فيها كذلك، فأنباء الغيب مثلاً ليست موجودة في كل آية من القرآن وكذلك الإعجاز العلمي والتشريعي، ومن هنا كان الإعجاز البياني أهم هذه الوجوه وأعمها، بل هو أتمها، لأنه عام في القرآن كله لا تخلو منه سورة على قصرها، بل هو في كل آية- تكون على مقدار السورة القصيرة- وليس كذلك الوجوه الأخرى.

وإذا كان الإعجاز البياني إنما يرجع في لبه وجوهره إلى النظم، وإذا كان القرآن الكريم كتاب الإنسانية جميعها. عربها وعجمها منذ أنزله الله ما دامت الحياة والأحياء، إذا كان كذلك فليس من المنطقي أن يكون هذا النظام خاصاً بالعرب وحدهم، وإنما غلط من غلط في هذه القضية، لأنهم ظنوا أن الإعجاز البياني إنما هو حديث عن الصورة التي تمتع العواطف وتلذذها النفس، وترهق الحس، الصورة التي تقوم على الاستعادة والكناية والتشبيه، وهذه تختلف عند كل قوم باختلاف بيئتهم، ولكن النظم ليس كما حسبوه، وإنما نعني بالإعجاز البياني الذي يقوم على النظم، ذلكم الترتيب الذي كان لكلمات القرآن في جملها من جهة واختيار هذه الكلمات من جهة أخرى، ثم ترتيب الجمل والآيات في السورة. وتلك قضية كان يدركها العرب عند نزول القرآن بذوقهم وسليقتهم، أما العرب اليوم فإنما يدركونها بالفكرة لا بالفطرة بعد أن تفسر لهم وتبين لهم وقائعها. هم وغيرهم في ذلك سواء. فإذا أدركَ العربي أن قوله سبحانه﴿ وَٱرۡزُقُوهُمۡ فِيهَا وَٱكۡسُوهُمۡ ﴾ [النسا:5] اختيرت فيه كلمة (في) على كلمة (منه) لأمر اقتصادي، وهو أن رزق أولئك ينبغي أن يكون مما تنتجه الأموال، لا من أساسه ورأسه، فإنه غير العربي يمكن أن يعرف هذا حين تفسر له معاني القرآن وإذا أدرك العربي أن قوله سبحانه:﴿فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَاوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ﴾[المائدة14] استعملت فيه كلمة الإغراء دون الإلقاء لتدل على الإلصاق والدوام، فإن هذا يمكن أن يدركه غير العربي حينما يفسر له، ولا أدل على ذلك عن وضعنا اليوم، فنحن مع كوننا عرباً، ولكن بعدنا عن العربية

وذلك في أنه حوى صفات الأدب الخالد ومميزاته، وهذا ما جعل المتأخرين من العرب ومن تعلموا العربية يدركون إعجازه ويتذوقون جماله..

وهذه المميزات جعلت فيه وحدة موضوعية تسعى للمثل الأعلى وتحقيق خير الإنسانية، وأيضاً نجد في داخله التعاليم الرفيعة والقيم الخلقية التي تسعى لتنظيم الكون على بساطتها، وفي هذه البساطة سر من أسرار جمالها.. ولا ننسى أسلوبه العظيم..(1)

فللقرآن الكريم أساليبه الخاصة المختلفة في بيان وإيضاح فرائضه من عبادات وأحكام وتعاليم وهدايات، فأحياناً نجد الترغيب والترهيب، وأسلوب الحكمة، وأساليب متنوعة في الكشف عن أسرار النفس، وكذلك نجد في القرآن الكريم واقعنا كله الذي نعيشه ونحيا معه، وفي جميع فنونه له أسلوبه في طرق الهداية. والهداية هذه للتي هي أقوم، وكذلك نجد أسلوب الإعلام، وكذلك أسلوب مكافحة الجريمة، وأيضاً نجد أسلوب معالجة الأمراض الاجتماعية..الخ.

والقرآن الكريم يبقى له أسلوبه المتفرد في الكشف عن معانيه، وهذا الأسلوب يتمثل في الصبغة الذاتية التي يحملها الكلام، فهي صبغة ربانية إلهية.

وهذه الصبغة الإلهية قائمة في كل كلمة من كلمات القرآن الكريم. وكل كلمة أعطاها الله تعالى وجودها الحقيقي الذاتي، وهذا له الوجود الفعّال، وهذا لا يُدرك عند البشر وإنما يرمز له، فالمعاني الإلهية من قدرات غير محسوسة.

وهذه الصبغة الإلهية تشكل الطابع الإعجازي.

---

(1) الأستاذ نعيم الحمصي: فكرة إعجاز القرآن ص 52 (باختصار).

الفصل الثاني:

قبسات من الإعجاز البياني في القرآن الكريم

ويضم ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: بيان الفروق بين الألفاظ المتقاربة.

المبحث الثاني: لطائف قرآنية.

المبحث الثالث: بلاغة الكلمة في التعبير القرآني.

المبحث الأول: بيان الفروق بين الألفاظ المتقاربة

المطلب الأول: أوتوا الكتاب وآتيناهم الكتاب:

الفرق بين أوتوا الكتاب وآتيناهم الكتاب في البيان القرآني:-

إن من روائع التعبير القرآني ما نراه في الكلام على الذين أوتوا الكتاب، ففي البيان القرآني نجد أنه إذا كان المقامُ مقامَ مدح وثناء لأهل الكتاب فإن المولى تبارك وتعالى يظهر ذاته وينسب إيتاء الكتابَ إلى نفسه ﴿ **آتيناهم الكتاب** ﴾ وإذا كان المقام مقام ذم وتقريع لهم نجده يبني فعل الإيتاء إلى المجهول فيقول:﴿ **أوتوا الكتاب** ﴾ ومن الأمثلة:-

قول الله تعالى ﴿فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ ﴾ [النساء:54] ويقول تبارك وتعالى ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ [الجاثية:16] ويقول تبارك وتعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾[القصص: 52-53] في هذه الآيات القرآنية أسندَ اللهُ تباركَ وتعالى الإيتاء إلى نفسه في مقام المدح في حين قال تبارك وتعالى: ﴿ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾

[البقرة:101] وقال تبارك وتعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [آل عمران:23] وقال تعالى ﴿ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن

قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذٗى كَثِيرٗاۚ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلۡأُمُورِ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [آل عمران:186] وغيرها من الآيات.

ففي مقام الذم والتقريع لأهل الكتاب يبني للفعل المجهول.

المطلب الثاني: النعمة والنعيم.

الفرق بين النعمة والنعيم في البيان القرآني.

نلحظ أن كلمة نعمة في القرآن الكريم! إنما هي لنعم الدنيا على اختلاف أنواعها يطرد ذلك ولا يتخلف في مواضع استعمالها، مفرداً وجمعاً.

كقوله تعالى ﴿وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢١١﴾ ﴾[البقرة:211] وقوله تعالى:﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ [إبراهيم:6] أما صيغة النعيم فتأتي في البيان القرآني بدلالة إسلامية، خاصة بنعيم الآخرة بطرد هذا ولا يتخلف في كل آيات النعيم وعددها ست عشرة آية: كقوله تعالى: ﴿أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٖ ﴿٣٨﴾﴾ [المعارج:38] وقوله تعالى ﴿وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ ﴾ [الشعراء:85] وقوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ ﴾ [لقمان:8]

المطلب الثالث: حلف وأقسم:

الفرق بين الحلف والقسم في البيان القرآني:

قال الله تعالى ﴿ وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٞ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [التوبة:56] وقال سبحانه: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ ﴾ [الواقعة:76] كثيراً ما يفسر أحدهما بالآخر، وقلما تفرق بينهما المعاجم، نحتكم إلى البيان الأعلى في النص المحكم فيشهد الاستقراء الكامل بمنع ترادفهما.

جاءت مادة (حلف) في ثلاثة عشر موضعاً كلها بغير استثناء في الحنث باليمين (أي اليمين الكاذبة) وأما القسم. فيأتي في الأيمان الصادقة سواء كانت حقيقة أو وهماً.

وبهذا يختص الحلف بالحنث في اليمين (أي اليمين الكاذبة) ويكون القسم لمطلق اليمين، وهذا ما اطرد استعماله في البيان القرآني.

المطلب الرابع: الخشية والخوف:

الفرق بين الخشية والخوف في البيان القرآني:

قال تعالى ﴿ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ [التوبة:18] وقال تعالى ﴿ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ ﴾ [النور:55] نلحظ أن الخشية في البيان القرآني تفترق عن الخوف، بأنها تكون عن يقين صادق بعظمة من نخشاه، وأما الخوف فيجوز أن يحدث عن تسلط بالقهر؛ ولهذا فالخشية يجب أن لا تكون إلا للهِ وحده، دون أي مخلوق، يطرد ذلك في كل مواضع استعمالها في الكتاب الحكيم بصريح الآيات.

وتستند خشية الله في القرآن الكريم إلى الذين يبلغون رسالات ربهم ومن اتبع الذكر والمؤمنين والعلماء والذين رضي الله عنهم ورضوا عنه[1].

المطلب الخامس: زوج وامرأة:

الفرق بين (زوج وامرأة) في البيان القرآني:

قال الله سبحانه وتعالى ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ ﴾ [الروم:21] قال الله سبحانه وتعالى ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَـٰلِحَيْنِ ﴾ [التحريم:10] نلحظ أن البيان القرآني يستعمل لفظ

---

(1) الإعجاز البياني للقرآن الكريم ص 226.

زوج حينما تحدث عن آدم وزوجه وقد يبدو من القريب أن يترادفا.فيقوم أحد اللفظين مقام الآخر، وذلك ما يأباه البيان القرآني المعجز، وهو الذي يعطينا سر الدلالة في الزوجية مناط العلاقة بين آدم وزوجه، فكلمة (زوج) تأتي حيث تكون الزوجية هي مناط الموقف: حكمة وآية، أو تشريفاً وحكماً كقوله تعالى ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ [الروم:21] وقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ ﴾ [الفرقان:74] وقوله تعالى لما استجاب لزكريا وحققت الزوجية حكمتها، قال تعالى ﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ﴾ [الأنبياء:90] فإذا تعطلت آية الزوجية من السكن والمودة والرحمة بخاينة أو تباين في العقيدة أو بعقم أو ترمل فالبيان القرآني يستعمل: امرأة لا زوج.

كقوله تعالى ﴿ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ﴾[يوسف:30]

وقوله تعالى ﴿ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا ﴾ [التحريم:10] وقوله جل جلاله ﴿ وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝ ﴾ [مريم:5]

المطلب السادس: الرؤيا والحلم:

الفرق بين الحلم والرؤيا في البيان القرآني:

استعمل القرآن الكريم (الأحلام) ثلاث مرات، يشهد سياقها بأنها الأضغاث المهوشة والهواجس المختلطة، وتأتي في المواضع الثلاثة بصيغة الجمع دلالة على الخلطِ والتهوش لا يتميز فيه حلم عن آخر:

قال تعالى ﴿ بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَـٰثُ أَحْلَـٰمٍۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ۝ ﴾ [الأنبياء:5]

أما الرؤيا فقد جاءت في القرآن الكريم سبع مرات كلها في الرؤيا الصادقة وهو لا يستعملها إلا بصيغة المفرد دلالة على التميز والوضوح والصفاء.

قال الله تعالى ﴿ قَالَ يَـٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ لِلْإِنسَـٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝ ﴾ [يوسف: 5]

المطلب السابع: الإنس والإنسان:

الفرق بين استعمال الإنس والإنسان في البيان القرآني:

الإنس والإنسان يلتقيان في الملحوظ العام لدلالة مادتها المشتركة على نقيض التوحش لكنهما لا يترادفان، فلفظ الإنس يأتي في القرآن الكريم مع الجن على وجه التقابل، يطرد ذلك، ولا يتخلف في كل الآيات التي جاء فيها اللفظ قسيماً للجن، وعددها ثماني عشرة آية، والإنسية نقيض التوحش، وبهذهِ الإنسية يتميز جنس عن أجناس خفية مجهولة غير مألوفة لنا، ولا هي تخضع لنواميس حياتنا.

قال تعالى: ﴿ يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ ﴾ [الأنعام: 130] وقال سبحانه ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝ ﴾ [الذاريات:56] أما الإنسان فليس مناط إنسانيته كونه مجرد إنس، وإنما الإنسانية فيها ارتقاء إلى أهلية التكليف وحمل أمانة الإنسان. وما يلامس ذلك من تعرض للابتلاء والخير، وقد جاء لفظ الإنسان في القرآن الكريم في خمسة وستين موضعاً كقوله تعالى ﴿ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ ضَعِيفًا ﴾ [النساء: 28] وقال سبحانه وتعالى ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَـٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ۝ ﴾ [هود:9] وقوله

سبحانه وتعالى ﴿ وَكُلَّ إِنسَـٰنٍ أَلْزَمْنَـٰهُ طَـٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ كِتَـٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ [الإسراء:13]

المبحث الثاني: لطائف قرآنية

المطلب الأول: حكمة تنكير أحد وتعريف الصمد:

قال تعالى ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤ ﴾ **[الإخلاص:1-4]**

حكمة تنكير أحد أنها مسبوقة بكلمتين معرفتين "هو الله" وهما مبتدأ وخبر، وبما أن المبتدأ والخبر معرفتان ودلالتهما على الحصر، فقد استغني بتعريفيهما ودلالتهما على الحصر عن تعريف "أحد" فجاء لفظ "أحد" نكرة على أصله لأن الأصل في الكلمة هو التنكير فهو نكرة وإعرابه خبر ثان.

كما أن لفظ "أحد" جاء على التنكير للتعظيم والتفخيم والتشريف وللإشارة إلى أن الله تعالى فرد أحد لا يمكن تعريف كيفيته ولا الإحاطة به سبحانه وتعالى.

أما "الصمد" فقد جاء معرفة في الآية الثانية لأن "الله الصمد" مبتدأ وخبر وجاءا معرفين ليطابقا "هو الله" في الآية الأولى وقد جاء تعريف ﴿ الله الصمد ﴾ ليدل على الحصر أيضاً فقوله تعالى ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ﴾ يدل على الحصر لتعريف المبتدأ والخبر (الأَحَدِيّة) محصور بالله وقوله تعالى ﴿ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾ يدل على الحصر أيضاً لتعريف المبتدأ والخبر والصمدانية محصورة بالله جل جلاله.

المطلب الثاني: الفرق بين سلام على يحيى والسلام على عيسى عليهما الصلاة والسلام.

قال تعالى ﴿ يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ۝١٢ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً ۖ وَكَانَ تَقِيًّا ۝١٣ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ۝١٤ وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴾ [مريم:12-15] وقال الله تعالى عن عيسى عليه السلام ﴿ ۝٣٠ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى

نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ﴾ [مريم:30-33]

وحكمة مجيء (سلام) نكرة في سياق قصة سيدنا يحيى عليه السلام؛ أن ذلك جاء في سياق تعداد نِعَمِ الله تعالى على سيدنا يحيى عليه السلام وإخبار من الله جل جلاله. بأنه قد منح سيدنا يحيى (سلاماً) كريماً في مواطن ثلاثة: يوم ولادته ويوم موت يحيى عليه السلام، ويوم بعثه عليه السلام حياً في الآخرة.

أما "السلام" في قصة سيدنا عيسى عليه السلام جاء معرفة: لأن لفظ السلام هو كلام من سيدنا عيسى عليه السلام حيث دعا ربه أن يمنحه السلام في ثلاثة مواطن: يوم ولادته ويوم موته ويوم بعثه حياً في الآخرة.

فيما أن سيدنا عيسى هو الذي دعا فمن المؤكد أنه سيُلِحُ في الدعاء كما هي السنة فيطلب المعالي، فلذلك عرّف السلام دلالة على أنه يريد السلام الكثير العام الشامل الغزير.

وهنا إشارة إلى أن السلام الذي حصل عليه سيدنا عيسى كأنه أخص من السلام الذي حصل عليه سيدنا يحيى وأن سيدنا عيسى أفضل من سيدنا يحيى فهو من أولي العزم من الرسل، صلى الله عليهم جميعاً.

المطلب الثالث: تقديم القتل على الموت وعكسه في نفس الموضع:-

من روائع التقديم والتأخير في بيان القرآن الكريم المعجز ورود آيتين متتابعتين قدّم اللفظ في الأولى وأخرّ اللفظ نفسه في الثانية.

قال الله تعالى في سورة آل عمران ﴿ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾ وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴾

[آل عمران:157-158] الآيات الكريمة في سياق غزوة أحد والتي كان فيها من الشهداء ما هو معلوم وبما أن الموت في سبيل الله هو أشرف موت وأعظمه أجراً عند الله قدّم القتل على الموت.

وهذا غير مُراد الآية الثانية التي تتحدث عن سنة الله على جميع الناس بالموت.

وبما أن الموت على الفراش هو الأعم والأغلب فمعظم الناس يموتون ميتة طبيعية قدّم الموت.

والدليل على أن المقصود في الآية الثانية هو بيان سنة الله في الناس كافة هو عدم اقتران القتل فيها بعبارة في سبيل الله التي اقترنت بها في الآية الأولى وشتّان بين قتل الشهيد وقتل الإنسان العادي، فالشهيد ينال رحمة من الله ومغفرة لذنوبه كما هي عقيدة المسلمين وهذا ما أكدّته الآية الأولى وهذا ليس إلا للمسلمين.

وبما أن القتل بشكل عام (للمسلمين وغيرهم، يكون فيه ظالم ومظلوم يجب أن يكون هناك حكمٌ عادل يفصل بينهم)..

فمن ينتصف للمظلوم:

ينتصف له يوم القيامه حيث يحشر الجميع بين يدي الله.

فقد يكون القاتل هو المظلوم والمقتول هو الظالم.

وبهذا جاء التعبير الإعجازي في الآية الثانية ﴿ **لإلى الله تحشرون** ﴾.

المطلب الرابع: لطيفة قرآنية:

قال تعالى ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ ﴾ [الإسراء:31]

وقال تعالى ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ﴾ [الأنعام:151] نقف هنا مع مثال من دقائق التعبير القرآني العجيبة ففي آية الإسراء قدَّم الله تعالى رزق الأبناء على رزق الآباء، قال تعالى ﴿ **نحن نرزقهم وإيّاكم** ﴾ وفي سورة الأنعام قدَّم رزق الآباء ﴿ **نحن نرزقكم وإياهم** ﴾ والسرُ في ذلك أن قتل الأولاد في آية الإسراء كان خشية وقوع الفقر بسببهم فقدَّم الله تعالى رزق الأولاد، وفي الأنعام كأنه قتلهم بسبب فقر الآباء فعلاً فقدَّم رزق الآباء. فلله ودر التنزيل ما أروع أسراره.

المطلب الخامس: الحرث:

قال الله تعالى ﴿ نِسَآؤُكُم حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ﴾ [البقرة:223]

نلحظ أن المولى تبارك وتعالى اختار لفظة: (حرثكم) وهي لفظة دقيقة معبرة ذلك لأنه لما كان الجماع يحتمل معنى كيف وأين احترس سبحانه بقوله:(حرثكم) لأن الحرث لا يكون إلا حيث تنبت البذور وينبت الزرع وهو المخصوص[1]

المطلب السادس: دلالة تكرار الاسم في نفس الموضع:

عندما يكون الاسمان المكرران معرفتين.. دلّ على أن الأول هو نفس الثاني غالباً ليدل على المعهود، مثال ذلك قوله تعالى في سورة الفاتحة: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾[الفاتحة:7] والصراط في الموضع الأول معرّف بأل وبالثاني معرّف بالإضافة، والمراد بالاسم الأول الاسم الثاني.. فصراط الذين أنعم الله عليهم هو نفس صراط المستقيم[2].

(1) البرهان للزركشي ص 67.

(2) أنظر أيضاً من الأمثلة الدالّة على ذلك:

سورة الصافات: [158]، وسورة الزمر: [2، 3]، وسورة غافر: [9].

أما إذا كان الاسمان المكرران نكرة فإن الأول غير الثاني غالباً لأن تكرار النكرة يدل على تعددها فالنكرة الأولى غير النكرة الثانية، مثال ذلك قوله تعالى في سورة سبأ: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾ [سبأ 11] فالشهر الثاني غير الشهر الأول ويكون المجموع شهران، كل هذا مقدمة لتوضيح الإعجاز البياني في سورة الشرح عند تفسير قوله تعالى ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝ ﴾ [الشرح: 5-6] العُسر: مكرر هو عسر واحد (العسر الأول هو العسر الثاني فكلاهما معرفة).

يُسر: مكرر ولكنهما يسران (اليسر الأول غير اليسر الثاني فكلاهما نكرة).

إن السورة الكريمة تأتي في سياق يتحدث عن تبشير أصحاب الابتلاء والمحنة والضيق والعسر أن ذلك كله سيزول وسيحل اليسر مكانه مضاعفاً، إن مقاصد هذه السورة بعث الأمل في صدور سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وأتباعه من الدعاة المبتلين وتخفيفاً عنهم وبعث الأمل في نفوسهم. ولذلك جاءت نسبة العسر إلى اليسر واحد إلى اثنين 21 حتى ينتظر المسلم المبتلى اليسر بأمل عريض وصبر جميل.

المبحث الثالث: بلاغة الكلمة في التعبير القرآني

المطلب الأول: الإبدال:-

وقد يستعمل كلمة في موطن، ثم يستعملها في موطن آخَرَ مبدلاً فيها حرف، وذلك نحو: مَكة وبكه، واللاَّتي واللائي، ويصطه وبسطه ونحوها وكل ذلك لغرض.

فقد قال تعالى ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [آل عمران:95] وقال: ﴿ ﴿٢٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾ [الفتح:24]

نلحظ بأنه قال في آية آل عمران: (بكه) وقال في الفتح: (مَكة)؛ وسبب إيرادها بالباء في آل عمران، أن الآية في سياق الحج: (ولله على الناس حج البيت) وجاء الاسم (بَكه) من لفظ (البَكّ) الدال على الزّحام لأنه في الحج يبكُّ الناس بعضهم بعضاً أي: يزحمَ بعضُهم بعضاً، فسميّت (بكه) لأنهم يزدحمون فيها[1].

وليس السياق كذلك في آية الفتح فجاء بالاسم المشهور لها- أعني (مكة) بالميم- فوضع كل لفظ في السياق الذي يقتضيه والله أعلم، ومن ذلك أيضاً استعمال اللاتي واللائي.

---

(1) أنظر (مفردات الراغب: 57).

قال تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ ٱلَّـٰٓـِٔي تُظَـٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَـٰتِكُمْ ۚ ﴾ [الأحزاب:4] وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُظَـٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَـٰتِهِمْ ۖ إِنْ أُمَّهَـٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّـٰٓـِٔي وَلَدْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا ۚ ﴾ [المجادلة:2]

وقال تعالى:﴿ وَٱلَّـٰٓـِٔي يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَـٰثَةُ أَشْهُرٍ وَٱلَّـٰٓـِٔي لَمْ يَحِضْنَ ۚ وَأُوْلَـٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ ﴾ [الطلاق:4] فقال في كل ذلك: (اللائي) بالهمز.

في حين قال: ﴿ وَٱلَّـٰتِي يَأْتِينَ ٱلْفَـٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَٱسْتَشْهِدُواْ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ ۖ ﴾ [النساء:15]

وقال: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَـٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّـٰتُكُمْ وَخَـٰلَـٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَـٰتُكُمُ ٱلَّـٰتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَـٰعَةِ وَأُمَّهَـٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَـٰٓئِبُكُمُ ٱلَّـٰتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّـٰتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُواْ دَخَلْتُم بِهِنَّ ﴾ [النساء:22]

وقال: ﴿ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّـٰتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ ﴾ [يوسف:49]. وغيرها.

ومن الملاحظ في استعمال هاتين الكلمتين أنه استعمل (اللائي) بالهمزة في حالتي الظِّهار والطَّلاق، ولم يستعملها في غيرها وكأن ذلك لثقل الهمزة. فاستعمل الهمزة لنقلها للحالات الثقيلة النادرة، وهي حالات المفارقة.

ومن الطريف أن بناءَ (اللائي) وجَرْسَها يوحي بذلك فكأنها مشتقّةٌ من: اللَّأْي، وهو الإبطاء والاحتباسُ والجَهْد والمشقَّة والشّدَّة.

والمُظاهِرُ، والمُطلَّقُ محتبسٌ عن امرأته مبطىءٌ عنها، وفي ذلك ما فيه من الجَهْد والمَشقَّة والشِّدَّة للطَّرفين. فانظر حُسنَ المناسبة في اللفظ والمعنى والاستعمال.

المطلب الثاني: الذكر والحذف في المفردة:

قد يحذف في التعبير القرآني من الكلمة نحو (استطاعوا) و(اسطاعوا)، و(تَتَنَزَّل) و(تَنزَّل) و(تتوفاهم) و(توفاهم)، (لم يكن) و (لم يكُ) وما إلى ذلك. وكلُّ ذلك لغرضٍ وليس اعتباطاً. فالتعبيرُ القرآني تعبيرٌ فنيٌّ مقصود، كل كلمةٍ، بل هو كل حرفٍ إنما وُضِعَ لقصدٍ.

إن القرآن يحذف من الكلمة لغرض، ولا يفعل ذلك إلا لغرض، ومن ذلك على سبيل المثال:-

أنه يحذف من الفعل للدلالة على أنَّ الحَدَثَ أقلُّ مما لم يحذف منه، وأن زمنَهُ أقصرُ، ونحو ذلك، فهو يقتطعُ من الفعل للدلالة على الاقتطاع من الحَدَث، أو يحذفُ منه في مقام الإيجاز والاختصار، بخلاف مقام الإطالة والتفصيل.

فإذا كان المَقام مقامَ إيجاز أوجزَ في ذكر الفعل، فاقتطع منه، وإذا كان في مقام التفصيل لم يقتطِعُ من الفعل، بل ذكره بأوفى صورة .

وأما آية الشعراء، فإن التنزُّل فيها أقل، لأن الشياطين لا تتنزَّلُ على كل الكفرة، وإنما تنزلُ على الكهنة، أو على قِسمٍ منهم، وهم الموصوفين بقوله ﴿ **كُلِ أفاكٍ أثيم ﴿٢٢٢﴾ يُلقون السَّمْعَ**﴾. ولا شكَّ أن هؤلاء ليسوا كثيراً في الناس، وهم ليسوا بكثرة الأولين ولا شطرهم، بل هو قلةٌ فاقتطع من الحَدَث[1].

فقال تعالى: (تنزّل) بحذف إحدى التاءين.

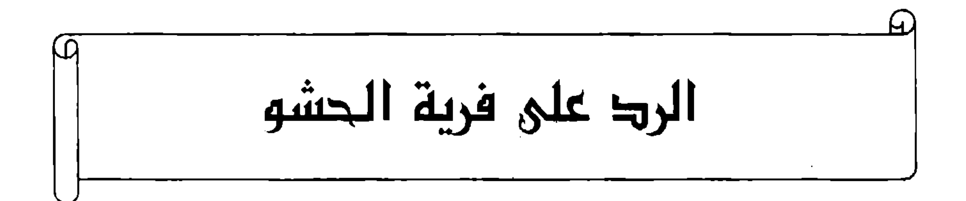
---

(1) بلاغة الكلمة في التعبير القرآني: فاضل السامرائي.

وكذلك ما في آية سورة القدر، فإن تنزُّل الملائكة، إنما هو في ليلةٍ واحدة في العام، وهي ليلةُ القدر، فهو أقل من التنزُّل الذي يحدثُ باستمرار على مَنْ يحضرُهُ الموتُ، فاقتطع من الحَدَث.

فأنت ترى أنه اقتطع من الفعل إحدى التاءين في آيتي الشعراء، وآية القدر لأنَّ التنَّزل أقلُ، ولم يحذف من آية (فصّلت) لأنه أكثر، والله أعلم.

الفصل الثالث:



1- **قال تعالى:** ﴿ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ ﴾ [البقرة:74]

قالوا: إن الجملة الأولى تُغني عن الثانية.

ونقول: ما أبعد ما ذكرتم عن الحقيقة، فهنا قضية لطيفة دقيقة، الآية تتحدث عن قسوة قلوب اليهود، وتشبهها بالحجارة، بل هي أشد قسوة، فمن الحجارة ما يتفجر منها الماء الكثير دون أن يحدث لها شيء، ومن الحجارة ما يخرج منها الماء بعد تشققها وشتّان بين النوعين، فإذا لم تكن قلوبكم من الصنف الأول، وهي القلوب التي تتفجر منها الحكمة، أفلا تكون من الصنف الثاني التي يمكن أن تهتدي بعد معالجة، وبعد أن تدمغها الحجة، فالجملتان – كما رأينا- لا تعني أحدهما عن الأخرى[1]

2- ومن الجمل التي طاروا بها فرحاً، وظنوا أنهم وقعوا على صيد سمين، وكنز ثمين، وما هو إلا أنه سقط في أيديهم من هذه الجمل قوله سبحانه: ﴿ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ﴾ [البقرة:196]، بعد قوله: ﴿ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ ۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ﴾ [البقرة:196]؛ لأن هذه الجملة لا معنى لها، والأمر ليس كما توهّموه وهنا مقامان اثنان:-

الأول: قوله سبحانه: ﴿ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ﴾ فلقد جيء بها- هنا- حتى لا يُتوهم التخيير بين ثلاثة في الحج، وسبعة إذا رجع الحاج إلى أهله وبلده، وربما يعلّل هذا بأن الصوم في الحج فيه مشقة أكثر، وعبء أكبر على الصائم ولا توجد هذه

---

(1) لطائف المنان وروائع البيان: لفضل عباس: ص29.

المشقة إذا رجع الحاج إلى بيته، فيمكن أن تقوم الثلاثة في الحج مقام السبعة في الوطن والأهل فأراد القرآن أن ينفي ذلك الوهم.

وأما ثانياً: فقوله سبحانه ﴿**كاملةٌ**﴾ تطييب لخاطر أولئك الصائمين الذين لا يجدون الهدي، والذين يظنون أن مثوبة من قدّم الهدي أكثر وأكبر، فأراد ربنا سبحانهُ أن يبين أنها كاملة في ثوابها وأجرها، فلقد أدّت هذه الجملة على قصرها أكثر من فائدة[1].

3- ومن هذه الجمل التي زعموا أنهُ لا حاجة لها من حيث المعنى قوله سبحانه: ﴿تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ﴾ [آل عمران:27]؛ ومن ذلك قوله: ﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ﴾ [الزمر:5] لأن إحدى الجملتين في كل آية من الآيتين كافية لأداء المعنى، مغنية عن قرينتها وصاحبتها.

ولكن القارئ حينما يمعن النظر يجد ما قالوه بعيداً عن الحقيقة، مجانباً للصواب، فلذلك يمكن أنه يتحقق إذا كان هناك شيئان ثابتان يمكن أن يولج أحدهما في الآخر، أو يُكوّر أحدهما على الآخر، كأن يولج اليد في الماء، أو السيف في الغمد، ولكن الليل والنهار يختلفان عن ذلك، لأن أزمنتهما تختلف باختلاف فصول السنة، فكل منهما يمكن أن يزيد أو ينقص فالنهار يمكن أن يأخذ من الليل في أيام، والليل يمكن أن يأخذ من النهار في أيام، ولو اكتفى بجملة واحدة لكان كل منهما ثابتاً لا يتغير، فما أبدع وأحكم وأعذب وأعظم هذا القرآن، ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء:82].

---

(1) مسائل الرازي وأجوبتها من غرائب آي التنزيل، ص13.,

4- ومن هذه الجمل مخاطبة الملائكة لمريم عليها السلام: ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَـٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَـٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَـٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [آل عمران:42]، ومنها أيضاً قول امرأة عمران: ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾ [آل عمران:36]

وكلتا الجملتين – كما جاءت- موازنة من حيث اللفظ، فلقد جاءت ثرية من حيث المعنى:

فقوله سبحانهُ: ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾، جاءت على لسان امرأة عمران تبدي اعتذارها، وتظهر تحسرها، وقد نذرت ما في بطنها محرراً، وكأنما كانت على يقين بأنه ذكر، لأنه هو الذي يصلح لخدمة المعابد، فلما وضعتها أنثى قالت وهي تحاول أن تتغلب على ذلك الشعور الذي كان ينتابها في حالة الحمل، ﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ﴾ يدلنا على ذلك كلمة (إنَّ) التي هي للتأكيد، وهذا التأكيد لا يمكن أن يكون بالنسبة لله تعالى، إنه تأكيد لها هي، تمحو ما استقرّ في نفسها من أنه ذكر، ثم تقول: ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾، هي لا تصلح إذن للوفاء بهذا النذر الذي نذرت[1].

5- وأما قوله سبحانه:﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَـٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَـٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [آل عمران:42]، حيث ذكر الاصطفاء مرتين، فإن أحدهما لا يغني عن الآخر لأن الأول اصطفاء للخدمة في مجال العبادة رغم كونها أنثى.

وأما الثاني: فهو اصطفاء من أجل ولادة عيسى عليه السلام وعلى نبينا وأنبياء الله صلوات الله وسلامه، يدل على ذلك قوله بعد الاصطفاء الأول

(1) لطائف المنّان وروائع البيان ص29.

﴿ وَطَهَّرَكِ ﴾ وقوله في الاصطفاء الثاني: ﴿ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ فكلتا الجملتين- كما رأينا- أدّت معنى غير الذي أدته الأخرى[1].

6- وهكذا تجد كلمات الله، كل كلمة تحمل في طيّاتها معنىً جديداً فإذا قال تعالى: ﴿ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ [البقرة:255] أو إذا قال: ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾ [آل عمران: 46]، فأصحاب النظرة السطحية ربما يقولون: ما فائدة النوم بعد نفي السِّنة، وما فائدة قوله ﴿كَهْلًا﴾ بعد قوله ﴿فِى ٱلْمَهْدِ﴾، ولكننا إذا عرفنا أن نفي النوم بعد السِنة قصد به التدرج من الأقل إلى الأكثر، وأن كلمة (كهل) فيها بشارة لمريم من أنه سيصل إلى مرحلة الكهولة، هذا من جهة، ومن جهة أخرى أن كلامه في حالة المهد وحالة الكهولة سواء، فإذا كان الكهل يكلم الناس على ما يقتضيه العقل السليم والمنطق الصحيح، فكذلك هو في حالة المهد[2]

7- ومن هذا قوله سبحانه:﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾ [آل عمران:45] فإن فائدة هذه الجملة الأخيرة وهي قوله تعالى: ﴿ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ التي ما ورد في معناها تثبيت لمريم، وطرد لكل ما ينتابها من هواجس القلق، ومشاعر الحيرة من أنه سينسب لكِ وهذا له خاصة، لأن الناس إنما يدعون لآبائهم[3].

8- ومن الجمل التي زعموا بأنها زائدة قول الله تبارك وتعالى (ولا تكتمونه) بعد قوله، **﴿وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتُبيّننّه للناس﴾** قالوا: إن هذه

---

(1) لطائف المنّان وروائع البيان ص 29-30.

(2) لطائف المنّان وروائع البيان ص 30.

(3) لطائف المنّان وروائع البيان ص 30.

تغني عن قوله سبحانه: ﴿ ولا تكتمونَهُ ﴾ ونقول: إن لكل من الجملتين معنى و غرضاً، وإن قوله تعالى ﴿ولا تكتمونَهُ﴾ جاءت مؤنسة ولم تأتِ عَرَضاً،ذلك أن البيان لا يشترط فيه الدوام، فقد يبين الشيء لأول وهلة، ولكن يُتغاضى عنه فيما بعد، فقوله سبحانه ﴿ولا تكتمونَهُ ﴾ إنما يدل على استمرار هذا البيان في جميع الأوقات و الأحوال[1] .

وشبيه بهذا قوله سبحانه ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ﴾ [الفتح: 27]، فربما يتوهم أن قوله سبحانه ﴿ءَامِنِينَ﴾ يغني عن قوله: ﴿لَا تَخَافُونَ﴾، وليس الأمر كذلك، ذلك لأن قوله: ﴿ءَامِنِينَ﴾ إنما يدل على الأمن حال الدخول، وأما قوله سبحانه:﴿لَا تَخَافُونَ﴾، فإنما يدل على استمرار هذا الأمن، وعلى عدم الخوف فيما بعد ذلك وكم من آمن في أول الطريق يعرض له الخوف في منتصف الطريق و نهايته[2].

10- ولا ننس في هذا المقام قوله سبحانه: ﴿كُلُوا مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ﴾ [الأنعام:141]، فلقد عدّوا هذه الجملة الأخيرة: ﴿إِذَا أَثْمَرَ﴾ لا ضرورة لها، حيث أغنى عنها قوله تعالى: ﴿كُلُوا مِن ثَمَرِهِۦٓ﴾

وهيهات ان يدركوا ما يبلغون به مقاصدهم، من وجود شبهة وشائبة هذا القرآن، فقوله: ﴿ إِذَا أَثْمَرَ ﴾ ندرك فيها معنىً جديداً، ذلك أنه لو قال: ﴿كُلُوا مِن ثَمَرِهِۦٓ﴾ فحسب، لتبادر لكثير من الناس أن هذا الأكل لا ينبغي إلا حين

---

(1) لطائف المنان وروائع البيان ص 31-32.

(2) لطائف المنان وروائع البيان ص 31-32.

كمال النضج والاستواء، فجاء قوله سبحانه: ﴿إِذَا أَثْمَرَ﴾؛ وذلك ليدل على أن هذا الأكل يمكن أن يكون حين بُدُوّ الثمرة وظهورها، فليس الأكل متوقفاً على تمام النضج، ونحن نرى أن الكثيرين تتوق نفوسهم للأكل من بساتينهم و حدائقهم إذا بدت ثمار أشجارها دون أن يتم النضج، ويكمل استواؤها[1]

ثم أليس في هذه الجملة ما يبعث على الرجاء و يفتح باب الأمل، ويقوي صلة الناس بخالقهم؛ لأن قوله: ﴿ إِذَا أَثْمَرَ ﴾ شرط، وقد يتخل الشرط ؟ صحيح أن (إذا) تفيد التحقيق ولكنها مع هذا لا ينتفي منها معنى الشرطيّة، إنها تحمل الإنسان على أن يترقب الخير من خالقه .

11- ومن الجمل التي ادّعَوْا زيادتها قوله تعالى: ﴿ فَتَمَّ مِيقَـٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗۚ ﴾ [الأعراف: 142] بعد قوله سبحانه: ﴿وَوَٰعَدۡنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةٗ وَأَتۡمَمۡنَٰهَا بِعَشۡرٖ﴾ [الأعراف: 142] قالوا فلا ضرورة لما جاء بعد ذلك .

والحقيقة أنه لا زيادة كما ادّعوا؛ لأنه لو قال: ﴿وَوَٰعَدۡنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةٗ وَأَتۡمَمۡنَٰهَا بِعَشۡرٖ﴾[الأعراف: 142]، فربما يتبادر إلى الأذهان أن هذه العشر مكملة للثلاثين، وأن المواعدة كانت عشرين ليلة، فكان لا بد من نفي هذا المتبادر، فجاء قوله سبحانه: ﴿فَتَمَّ مِيقَـٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗۚ ﴾[الأعراف:142] .

12- ومن ذلك قوله سبحانه: **﴿ أو كَصيِّبٍ من السماء فيه ظلماتٌ ورعدٌ وبرْقٌ ﴾** قالوا إن الصيّب لا يكون إلا من السماء، فما معنى أن ينصّ على ذلك؟!

---

(1) المرجع السابق نفسه: ص 31، ص 32.

ونقول لأولئك إنّ قوله سبحانه وتعالى: ﴿ **من السماء** ﴾ ما جاءت لتبين الجهة التي ينزل منها المطر، وإنما جاءت لتبين أمراً آخر وهو أن هذا الصيب لا ينزل عليهم من جهة واحدة، وإنما من جهات متعددة، فكلما أرادوا أن يقوا أنفسهم ليكونوا في معزل عنه، فإنهم لن يستطيعوا ذلك فلفظ (السماء) معرف فكأنه قيل من جميع جهات السماء، لا فرق بين جهة وأخرى.

13- قوله سبحانه: ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [البقرة:61]

قالوا إن كلمة ﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ لا ضرورة لها؛ لأن قتل النبيين لا يكون بحق أبداً ولماذا عبتم على زهير قوله: وأعلم علم اليوم والأمس قبله.

فقلتم: إن كلمة: (قبله) لا معنى لها، لأن الأمس يكون قبل اليوم بداهة؟!

قلنا شتان بين الكلمتين، فقوله سبحانهُ: ﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ فيه زيادة تشنيع وتوبيخ لأولئك، فهم يقتلون النبيين دون أي ممنوع، وهم يعلمون أن ذلك القتل بغير حق، ونحن نرى بعض الناس يفعلون الخطأ متوهمين أنه حق، أما أولئك فهم يفعلون جريمتهم، ويعلمون أنهم يقدمون عليها دون أي حق في ذلك.

14- قوله تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ﴾ [البقرة:79]

قالوا هل تكون الكتابة إلا باليد؟!

ونقول لهم: أسقطوا هذه الكلمة من أي كلام آخر، وانظروا ما هو المعنى الذي يؤديه الكلام الذي أسقطتم منه هذه الكلمة، إن فيها من التقريع والتوبيخ ومن الحجة على أولئك ما لا يمكن وصفه، فهي تصوِّر أن هذه الكتابة بأيديهم هم ليسوا راضين عنها فحسب بل هم الذين باشروها، وقد يقال: وصل كتاب الأمير ولا يكون هو الذي كتبه، وليس الأمر مع القبيل، بل هم الذين كتبوا بأيديهم

وباشروا الكتابة مباشرة فعلية، فما أبدع النظم القرآني وما أروع المعنى الذي تؤديه كل كلمة من كلماته؟!

الفصل الرابع:

الرد على قضية الزوائد

ويندرج تحته سبعة مباحث:

المبحث الأول: الرد على قضية زيادة الحرف إلى.

المبحث الثاني: الرد على قضية زيادة حرف الباء.

المبحث الثالث: الرد على قضية زيادة حرف اللام.

المبحث الرابع: الرد على قضية زيادة الحرف من.

المبحث الخامس: الرد على قضية زيادة الحرف عن.

المبحث السادس: الرد على قضية زيادة الحرف في.

المبحث السابع: الرد على قضية زيادة حرف الواو.

المبحث الأول: الحرف (إلى)

قالوا[1]: إنها زائدة في قوله سبحانه ﴿فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوَىٰٓ إِلَيْهِمْ﴾ [إبراهيم: 37] بفتح واو تهوى وهي قراءة أبي جعفر (عشرية)، وهو أحد القراء الثلاثة بعد السبعة والحق أن(تهوى) هنا مضمنة معنى الميل: أي اجعل أفئدة من الناس تميل إليهم .

والقول بالزيادة يَذْهب برونق المعنى واللفظ على السواء لأن المعنى يصير هكذا: واجعل أفئدة الناس تهواهم، وهذا معنى غير مراد. وأكثر اللغويين يرون أن (إلى) لا تأتي زائدة في غير القرآن الكريم ففي القرآن أولى بالطبع.

المبحث الثاني: حرف الباء

والباء التي عدّوها زائدة تنحصر في مطلبين:

المطلب الأول: ما لا يندرج تحت قاعدة .

المطلب الثاني: ما اندرج تحت قاعدة وهي الباء الواقعة في خبر ليس .

المطلب الأول: ما لا يندرج تحت قاعدة .

وقد ذكروا فيه خمساً وعشرين آية منها:

الآية الأولى:

قوله تعالى:﴿ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾[البقرة: 61] ،[آل عمران: 112]

---

(1)البحر المحيط (5/ 433) ،المغني لابن هشام (1/ 76) .

وهذه الآية تتحدث عن بني إسرائيل، قالوا: إن الباء زائدة؛ لأن (باؤوا) بمعنى استحقوا، واستحق لا تتعدّى بالباء، فلا يقال: استحق بغضب من الله وإنما يقال استحقوا غضباً، فالباء زائدة إذن ..

لم يدر بخلدهم إلا أن يفسروا (باؤوا) بمعنى استحقوا وهذا التفسير ما أظنه[1] متسقاً من حيث المعنى والسياق، فضلاً عن اللغة نفسها .

أما أولاً: أي من حيث المعنى والسياق، فلأن الآيات تتحدث عن بني إسرائيل بعد خروجهم مع موسى عليه الصلاة والسلام، حيث أنعم الله جلّ جلاله عليهم بتظليل الغمام والمن والسلوى وغير ذلك فقالوا: ﴿لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ﴾ [البقرة:61]، فقيل لهم: ﴿اهْبِطُوا مِصْرًا ﴾[البقرة: 61]، ثم قال تعالى: ﴿وَبَاءُو بِغَضَبٍ﴾ [البقرة: 61] [آل عمران: 112]، فالبيان الذي يفهم من الآية، أن يقال (باؤوا): ارجعوا بغضب فالباء إذن جاءت مكانها، أي: رجعوا مصحوبين بغضب من الله، أي فالباء جاءت للمصاحبة .

وأما ثانياً: أي من حيث اللغة، فتفسير البوء بالاستحقاق قد لم يقبل به إلا (أبو روق) من اللغويين كما نقل عنه صاحب البحر[2] ولا يجوز أن يتحكم متحكم في تفسير الكلمات ليقرر أو ليستنتج ما ينبغي أن ينزه القرآن عنه .

الآية الثانية:

قال الله تعالى: ﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾ [البقرة:194]

---

(1) البحر المحيط (1/ 236).

(2) البجر المحيط للإمام أبي حيّان الأندلسي (1/ 236).

قالوا[1] إن الباء زائدة و المعنى: فاعتدوا عليه مثلما اعتدى عليكم .

والآية الكريمة جاءت لتطمئن المسلمين وترد عليهم ما اتهموا به من قبل الكفار من اعتداء في الشهر الحرام، فالآية الكريمة جاءت تنهى المسلمين عن قبول الظلم حائثةً إياهم على أن يقابلوا الاعتداء بمثله، دونما زيادة والباء هي التي تعطينا هذا المعنى أي اعتدوا عليه بعقوبة مماثلة لجنايته.

هذه الباء إذن بعيدة عن أن تحوم حولها شائبة زيادة، والباء هنا للتعدية كذلك.

الآية الثالثة:

قوله سبحانه: ﴿ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾ [النساء: 43]

قالوا إن (الباء زائدة، والمعنى: فامسحوا وجوهكم).

ولكي نتدبر الأمر جيداً، يحسن بنا أن نتلوا آية المائدة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِۚ ﴾[المائدة: 6]. فلقد تعدّى فعل الغسل بنفسه غير مقترن بالباء، ﴿ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ ﴾ [المائدة: 6] وتعدّى المسح بالباء فقال عز وجل: ﴿وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ ﴾ [المائدة: 6] كما تعدّى بالباء في سورة المائدة كذلك ﴿وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ ﴾ [المائدة: 6].

وغرضنا الآن أن نتحدث عن الآية التي معنا آية النساء فلقد ذكرت الوجوه مقترنة بالباء في هذه الآية ولو كان القصد زيادتها لقال: ﴿ **فامسحوا وجوهكم** ﴾

(1) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب (1/ 108).

ولكن ذكرَها في كتاب الله يُشعر بفرق بين الموضعين ويدل على غرض ذكرت من أجله هذه الباء وهذا ما سنحاول بيانه إن شاء الله.

نحن نُدرك بداهةً فرقاً بين الغسل والمسح حيث:-

الغسل: يدل على مباشرة العضو، فنحن حينما نغسل ثوباً أو عضواً، فلا بدَّ أن نباشر العضو المغسول بالعضو الغاسل، وليس هناك معنى للغسل إلا هذا.

المسح: لا تشترط فيه هذه المباشرة فأنا قد أمسح شيئاً دون أن أباشره بيدي.

إذا عرضنا هذا الفرق، بين الغسل والمسح استطعنا أن ندرك السبب الذي جاءت من أجله الباء، وهو أن المسح لا بد أن يكونَ فيه مباشرة من العضو الماسح للعضو الممسوح والباء هي التي تكفلت بهذه المهمة ومعناها في الآية الكريمة (الإلصاق).

ذلكم هو سر الحرف في كتاب الله تبارك وتعالى، وهذا يدلنا على قصد القرآن، وإيجازه ووفائه بما يهدف إليه، حيث يقرر معنىً من المعاني فقد جرّد الغسل من الباء وذكرت هذه الباء مع المسح مع أن الفعليين الغسل والمسح يقعان على الوجوه.

الآية الرابعة:

قال تعالى ﴿ وَٱمۡسَحُوا بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ ﴾[المائدة: 6] قالوا إن الباء زائدة والحق أنه لا زيادة.

أ- لأن الباء تدل على التبعيض، من هنا أخذ كثير من الأئمة بأنه لا يجب مسح كل الرأس.

ب- إن من معاني هذه الباء الإلصاق ولو لم تكن لذهبت مثل هذه الفائدة كما من قبل[1]

(1) لطائف المنان وروائع البيان لفضل حسن عباس ص 109-110

الآية الخامسة:

قال تعالى ﴿ وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْأَيَٰتِ ﴾ [الإسراء:50]

القائلون[1] بالزيادة نظمُ الآية عندهم هكذا: وما منعنا أن نرسل الآيات وهذا غير مقبول ولا مستقيم لأن الآيات لا ترسل، وإنما الرسل هم الذين يرسلونها. ومعنى الآية وما منعنا أن نرسل بالآيات فهذا الحرف لا يتم المعنى بدونه، ومعنى الباء هنا (المصاحبة)[2]

المطلب الثاني: ما اندرج تحت قاعدة (الباء الواقعة في خبر ليس):

بعد الانتهاء بتوفيق الله من الباء التي لا تندرج تحت قاعدة معينة نتحدث الآن عن الباء التي تقع في خبر ليس و(ما) المشبهة بها وهي التي تكاد تطَّرِد في وقوعها بهذا الخبر.

وقد قامت الدكتورة عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ بإعداد بحث جليل لهذه الباء في كتابها: (الإعجاز البياني) آثرتُ أن أقتطف منه، تقول في أول هذا البحث:

وانطلاقاً من هذا الملحظ لسر الحرف. أقدم هنا لقضية الإعجاز البياني في بعض الشواهد من حروف قرآنية، مفردة ومركبة، حاول اللغويون والبلاغيون في تأويلها أن يعدلوا بها- على وجه التقدير- على الوجه الذي جاءت به، لكي تلبي مقتضيات الصنعة الإعرابية وتخضع لقواعد المنطق البلاغي المدروس، فبقيت هذه الحروف تتحدى كل محاولة بتغيير أو تقدير لحذف أو زيادة، منها مثلاً حرف الباء في مثل آية القلم: قال تعالى: ﴿ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴾ [القلم:3]

---

(1) الجمل على الجلالين

(2) لطائف المنان وروائع البيان لفضل حسن عباس ص 109-110

ثم تقول:

وقد أحصيتُ من مواضع مجيء الباء في خبر ليس الصريح المفرد ثلاثاً وعشرين آية في مقابل ثلاث آيات فحسب جاء فيها خبر ليس غير مقترن بالباء، وهي آيات [النساء:94، وهود:8، والرعد:43] ولها سياقها الخاص نتدبره بعد.

وكذلك خبر (ما) الصريح المفرد يأتي غالباً مقترناً بالباء المقول بزيادتها إلا إن تُلي (م) النافية بالفعل(كان)، فينصب الخبر به صريحاً مفرداً غير مقترن بالباء[1].

ثم تخلص إلى ما يلي: وهو أن الآيات التي اقترن بها خبر (ما) بالباء جاءت في مقام الجحود والإنكار ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:102]

قال تعالى: ﴿ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِ ﴾ [الرعد:14]

وقال تعالى ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴾ [فاطر:22]

أما خلو الخبر من الباء فجاء في آيتين اثنتين في قوله تعالى: ﴿ مَا هَٰذَا بَشَرًا ﴾ [يوسف:31] وقوله جلّ وعلا ﴿ مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ ﴾ [المجادلة:2]

ويلحظ أن خلو الخبر من الباء جاء أسلوب القصر في الجملة التي بعد، ففي الآية الأولى قال تعالى: ﴿ **إن هذا إلا ملك كريم** ﴾ وفي الآية الثانية قوله تعالى: ﴿ **إن أمهاتهم إلا اللائي ولدنهم** ﴾ وهذا ملحظ بياني موفق يستند إلا الحس القرآني، وسر الحرف فيه.

أما خبر ليس، فجاء غالباً مقترناً بالباء إلا آيات ثلاث جاءت خالية من الباء وهي قوله سبحانه: ﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا ﴾

---

(1) الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق ص .168

[النساء:94]، ﴿ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ ﴾ [هود:8]، ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلًا ﴾ [الرعد: 43].

وهناك أغراض بيانية دعت لترك الباء في هذه الآيات الثلاث، فقد يكون المقام في حاجة إلى تأكد قبل نفي الخبر، كما ترشد إليها آية النساء ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا ﴾ [النساء:94].

وقد يغني عن تقرير النفي بالباء التعقيب على الجملة الخبرية بما يحقق وقوعها بحيث ينقلها من غيب إلى ماضٍ تحقق وقوعه كآية هود التي جاء بعدها: ﴿ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ [هود:8]

وقد يكون من أغراض ترك هذه الباء عدم تيقن المتكلم مما يقول كما في آية الرعد: قال تعالى ﴿ لَسْتَ مُرْسَلًا ﴾ فهم يقولون هذا، ولكن نفوسهم غير موقنة به، ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ [الأنعام:33]

هذا كله في خبر ليس التي لم تسبقها همزة الاستفهام، أما التي سبقتها همزة الاستفهام فإنها جميعاً جاءت مقترنة بالباء لأنها جميعاً ينتقض فيها النفي إلى إثبات وتقدير، قال تعالى ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ﴾ [الزمر:36] ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ [الأعراف:172] ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾ [التين:8] ذلك لأن وجود الباء هنا وفي هذا المقام – مقام الإثبات والتقدير بعد انتقاض النفي- أمر لا بد منه.

وقد أطالت الكلام في هذه القضية وقد وفقت فيه أيما توفيق..

ونلخص بعد ذلك كله: إلى أن ما يجمع النحاة والمفسرون من أن الباء زيدت للتأكيد قول تُعوِزُه الدقة في الأسلوب القرآني، لا يشفي غليلاً، ولا يكفي دليلاً،

وإلا فلماذا ذكر في بعض الآيات دون بعض؟! ذلك مما يجعلنا أكثر ميلاً من قبـول ما قالوه إلى الرفض والله الهادي إلى سواء السبيل.

المبحث الثالث: حرف اللام [1]

وقد ادعوا زيادة هذا الحرف في آيات كثيرة، والممعن النظر في هذه الآيات يجد أن أمر الزيادة بعيد، اللهم إلا إذا تحكم في تغيير اللفظ متحكم أو تمحل في استنباط المعنى متمحل ومن هذه الآيات.

الآية الأولى:

﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [النساء:26]

وهي تقررّ أنّ الله تعالى جلّ جلاله، يريد ما أراد من إنزال لهذا القرآن؛ ليبين لنا، ويهدينا فالعلة من الإنزال هي البيان.

الآية الثانية:

﴿ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنعام:71]

فنحن أُمرنا بما أُمرنا من التكليف والفرائض لأجل أن نسلم ونخضع، فلا تتصور زيادة اللام في هذه الآية الكريمة.

الآية الثالثة:

﴿ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ ﴾ [يونس:57]

ذكروا[2] أن اللام زائدة، والتقدير: وشفاء ما في الصدور.

ولكن الذي نراه ونستأنس له بأقوال كثيرين من المفسرين أن لا زيادة، إنما اللام المتعلقة مصبغة الشفاء، أي شفاء كائن وثابت للأمراض التي في الصدور وهذا أليف لا من حيث المعنى فحسب بل من حيث النظم كذلك. وبيان ذلك أننا نجد

---

(1) لطائف المنان وروائع البيان: فضل عباس. ص132.

(2) الجمل على الجلالين (2/ 351).

أن النظم لا يخص اللفظ وحده، وإنما صلته بالمعنى مثل صلته باللفظ- كما تقدم من قبل- ولعل المتأمل يجد الفرق واضحاً بين أنه يقال: صديقك، وصديق لك، شفاءٌ وشفاءٌ لك. وأخوك وأخ لك. فهذه اللام جاءت لتعطي معنى التخصيص فلو قيل شفاء ما في الصدور فإنها تدل على أنها شفاء، ولكن لا مانع من أن يكون غيرها كذلك شفاء، أما: ﴿ **شفاءٌ لما في الصدور**﴾، كما جاء في النظم القرآني الكريم، إنها تدل على أمر آخر وهو أن أمراض الصدور ليس لها شفاء، كهذا القرآن، فمهما تعددت الأدوية فإنها جميعاً لا تغني عن هذا القرآن، هذا ما تعطيه اللام التي سموها بالزيادة.

المبحث الرابع: الحرف (من) [1]

الآيات التي ذكروا فيها زيادة (من)، إذا نظرنا فيها نظرة فاحصة فسندرك أن القول بالزيادة لا يقوم على أساس أبداً، وسنقسم الحديث عنها إلى مطلبين.

المطلب الأول: ما لا يندرج تحت قاعدة معينة.

المطلب الثاني: (من) الاستغراقية.

المطلب الأول:-

ما لا يندرج تحت قاعدة معينة.

الآية الأولى:

قال تعالى:﴿ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾ [البقرة:266]

رويت الزيادة عن الأخفش. قال أبو البقاء.

ولا يجوز أن تكون (من) زائدة. لا على قول سيبويه، ولا على قول الأخفش؛ لأن المعنى يصير: فيها كل الثمرات، وليس الأمر على هذا، إلا أنه يراد به هذا الكثرة، لا الاستيعاب فيجوز عند الأخفش، لأنه يجوز زيادة (من) في الموجب.

و(من) هنا للتبعيض، أي بعض من أجناس الثمر ولا يعقل أن تكون (من) زائدة لأنه لا يمكن أن يكون له كل الثمر.

الآية الثانية:

﴿ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ﴾ [البقرة:271]

(1) لطائف المنان وروائع البيان: فضل عباس ص148.

(مِن) هنا للتبعيض كذلك، ذلك لأن هناك سيئات لا تكفر بالصدقة وحدها وهو ما تدل عليه الآية الكريمة ﴿ إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ ﴾ [البقرة:271]، وقد جاء في الحديث الشريف أن هناك سيئات لا تكفرها الصلاة ولا الصدقة.

الآية الثالثة:

﴿ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ [النحل:14]

فإن (من) فيها كذلك تبعيضية؛ لأننا نبتغي بعض فضل الله، وكلٌ يطلب ما تدعوا إليه حاجته، فالناس مختلفون في ذلك فلا يعقل إذن أن تكون من زائدة إذا فهمنا الآية الكريمة فهماً صحيحاً.

المطلب الثاني:(من) الاستغراقية[1]:

وهي التي تجيء للتنصيص على العموم، وذلك كقولنا: ما جاءني من رجل، فإنه يحتمل أنهُ لم يجئه أحد البتة أو أنهُ جاءهُ رجلان أو رجال، أو لتوكيد العموم، كقولنا: ما جاءني من أحد، فإنها لا تحتمل ما احتملت عليه الأولى، وذلك لأن كلمة أحد تدل بلفظها على العموم[2].

وقد ذُكرت كثيراً في كتاب الله تعالى، وإذا أردنا أن نستقرىء الآيات التي ذُكرت فيها (من) هذه، فإننا نجدها من الكثرة بحيث يمكننا الجزم بأن هذه الظاهرة الأسلوبية في كتاب الله تعالى إنما جاءت لقصد وهدف، مما يجعلنا نؤكد أن القول بالزيادة أمر متعذر ولا يمكن قبوله.

---

(1) لطائف المنان وروائع البيان: فضل عباس. ص 158.

(2) مغني اللبيب: لابن هشام(1/ 322).

وإذا أردنا أن نقف مع بعض الآيات الكريمة، فسنجد أن ما تعطيه من معنىً وما تلقيه من ظلال، وما تصوره مما في أعماق النفس، سنجد أن هذه أمورٌ جوهرية، لا تتفق من حيث المنطق العلمي البياني مع القول بالزيادة والخضوع للصنعة الإعرابية.

لنأخذ مثلاً قول الله تبارك وتعالى ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البقرة:105]، وقوله سبحانه ﴿مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ﴾ [يوسف:51]، وقوله تبارك وتعالى: ﴿فَأَلْقَوُاْ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍ﴾ [النحل:28]

إن ما تعطيه هذه الآيات الكريمة من دقة المعنى ومن شمول واستغراق لا يتم بدون هذا الحرف.

1. فالكافرون لا يحبون أن ينزل على المسلمين أي خير مهما كان ضئيلاً نوعاً ومقداراً.
2. وكذلك النسوة يردن أن يبرئن يوسف عليه السلام من أي سوء، حتى لو كان ذلك النوع المتسامح فيه من حيث السعادة كالنظرة المختلسة.
3. وكذلك الكفار يوم القيامة يريدون أن ينفوا عن أنفسهم أي عمل فيه أدنى سوء، هذا من جهة.

ومن جهة ثانية، فإن العمق النفسي الذي نفهمه بواسطة هذا الحرف أو إن الصورة النفسية التي تظهر بواسطة هذا الحرف أمر يجل عن الوصف.

وإذا كان الزائد ما لا فائدة فيه، أو ما يتم المعنى بدونه فإن الحرف هنا أبعد ما يكون عن الزيادة، أما إذا كان الزائد ما تقتضيه الصَّنعة الإعرابية، فمع كونهِ غير

مقبول، فإن الإعراب فرع المعنى فإذا كانت الكلمة عمدة وجوهرية من حيث المعنى، فمن غير المقبول أن تكون فضلة وزائدة من حيث اللفظ.

المبحث الخامس: الحرف (عن)

قال أبو عبيدة عند قوله تعالى﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ ﴾ [النور: 63] مجازه مخالفون أمره سواء، وعن زائدة[1].

والمفسرون اللغويون غير أبي عبيدة والأخفش ومن ردَّد قولهما على غير ذلك أي على أن (عن) (ليست) زائدة.

قال ابن جرير عن تفسيره هذه الآية:

وأدخلت عن لأن معنى الكلام: فليحذر الذين يلوذون عن أمره ويدبرون عنه معرضين[2] .

وإلى قريب من هذا ذهب أبو البقاء، وذكر الشيخ الجمل في حاشيته على تفسير الجلالين[3].

هذا القول، وزاد قولاً آخر وهو أنّ (يخالفون). بمعنى يصدون، والمفعول محذوف أي يصدون الناس عن أمره، وما نظن أن هناك حاجة لمثل هذا فمتى كان الأمر خالياً من الحذف والتقدير كان أولى.

والخلاصة:-

إن القول بالزيادة إنما نقل عن الأخفش وأبي عبيدة، وجمهور العلماء يردونه[4] والذي يظهر لي بعد ما قالوه، وبعد نقل هذه الأقوال عنهم: أن مجيء (عن) في الآية الكريمة لنكتة دقيقة، وعرض بياني، وهو التحذير من مخالفة أي أمر

---

(1) مجاز القرآن، والبحر المحيط(6/ 477)، إملاء ما منّ به الرحمن للعكبري (2/ 84)، البرهان للزركشي (4/ 286).

(2) تفسير الطبري (18/ 135) .

(3) (3/ 243).

(4) لذلك ذكر الشيخ القول بالزيادة بعد القولين السابقين تضعيفاً له.

مهما رق، لأننا حينما نقول: يخالفون عن أمره، فكأنه يعني: لا ينبغي أن يتزحزحوا عن هذا الأمر، ولو قيد أنملة.

هذا المعنى لا يتم بدون هذه الكلمة التي وصفها قوم عفا الله عنهم بالزيادة.

المبحث السادس: الحرف (في) [1]

وقد ادَّعوا زيادة هذا الحرف في أربع آيات كريمة والممعن النظر في هذه الآيات يجد أن أمر الزيادة بعيد، اللهم إلا إذا تحكم في تغيير اللفظ متحكم أو تمحل في استنباط المعنى متمحل.

فقد عدّه بعضهم زائداً في الآيات الكريمة التالية:-

قال تعالى:

﴿ وَقَالَ ٱرْكَبُواْ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٜىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ﴾ [هود:41]

﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ﴾ [الكهف:54]

﴿ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ﴾ [الأحقاف:15]

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ [التين:4]

ونظن أن القول بالزيادة لم يكن إلا ضربُ تمحُّل وتكلُّف، لذلك فإننا نجده متأخراً لم يُعرَف عند المتقدمين من اللغويين والمفسرين، وإنما ذكره بعض النحاة المتأخرين كما نقله أبو حيان في بحره دون أن يُنسبهُ لأحد، ولا ندري ما الذي حملهم على القول بالزيادة.

الآية الأولى:

أمر الزيادة في هذه الآيةِ بعيد، بل لا يستقيم الأمر بدون هذا الحرف بل هو مخالف للتنزيل، فنحنُ نقرأ مثلاً قول الله تعالى: ﴿ ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ﴾ [هود:41] ولم يقل عليها، كما نقرأ ﴿ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى

(1) لطائف المنان وروائع البيان.

ٱلْجَارِيَةِ ﴾ [الحاقة:11] ولم ترد كلمة (على) إلا في شأن نوح عليه السلام، وذلك في سورة القمر في قوله تعالى: ﴿وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴾ [القمر:13] ولا بد أن نقف عند هذا السر القرآني الرائع، وهو أنهُ حينما كان الحديث عن الناس عُدِّي الحمل بـ (في)، قال تعالى : ﴿ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴾ وقال تعالى: ﴿ **احمل فيها من كل زوجين اثنين** ﴾ ﴿وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴾ لما في ذلك من التشريف له، والتنويه بشأنه.

ومع ذلك جاءت كلمة الحمل مسندة إلى الله تعالى، لا كلمة الركوب، فمن البديهي أن يفرق في اللفظة بين ركوب السفينة وركوب الدابة، قال تعالى : ﴿ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا ﴾ [النحل:8] فقد عُدّي الركوب بنفسه دون حرف جرٍ، أما ركوب السفينة فقد عُدّي بحرف الجر (اركبوا فيها)؛ ذلك لأنهم إنما ساروا في هذه السفينة وحملها فيها فهي ظرف لهم.

وإلى قريب من هذا ذهب الإمام الرازي في تفسيره حيث قال:

وأيضاً يجوز أن تكون فائدة هذه الزيادة وأنه أمرهم لأن يكونوا في جوف الفلك. لا على ظهرها، فلو قال: اركبوا، لتوهم أنه أمرهم أن يكونوا على ظهر السفينة. لكن أبا السعود- رحمه الله- لم يرتضِ هذا القول حيث قال:

والركوب: العلو على شيء متحرك. ويتعدّى بنفسه، واستعماله ها هنا بكلمة (في) ليس لأن المأمور به كونهم في جوفها لا فوقها كما ظُن، فإن أظهر الروايات أنه عليه السلام جعل الوحوش ونظائرها في البطن الأسفل، والأنعام في الأوسط وركب هو ومن معه في الأعلى[1].

---

(1) تفسير أبي السعود (3/ 22).

وهذا الذي قاله- عفا الله عنه- لم يرد به خبر صحيح، ولا رواية يُعَوّلُ عليها فلا ينبغي أن نعدل عن لغته بيانية نستشفها من الآية الكريمة من أجل روايات إسرائيلية لا يجوز أن تجعل أصلاً في فهم آيات الذكر الحكيم.

الآية الثانية:

﴿وَلَقَد صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ [الكهف: 54]

ويقال فيها ما قيل في الآية التي قبلها، فالتصريف للناس إنما هو في القرآن الكريم، وليس تصريف القرآن نفسه لأن القرآن هو محل الوعد والوعيد والقصة والحكمة والمثل والعظة وكيف يكون حينما يسقطون هذا الحرف الزائد في ادعائهم ويقال: ولقد صرفنا هذا القرآن. يقيني أن ذلك بعيد عن الذوق ولا يرتضيه.

الآية الثالثة

﴿وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ﴾ [الأحقاف:15]

سامح الله القائلين بالزيادة، فقد قاسوا هذه الآية على قوله تعالى **﴿وأصلحنا له زَوْجَه﴾** [الأنبياء: 90].

وشتّان بين الآيتين فإصلاح الزوج هنا تهيئتها بعد كبرها للحمل والولادة، وكذلك قيل: وأصلح لي في ذريتي. لكان المعنى أن تجعل الذرية محلاً وموقعاً للصلاح. وليس الأمر كذلك في الآية التي معنا ﴿ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ﴾؛ لأن معنى الآية أن يكون الصلاح شأن هذه الذرية يشمل أمورها جميعاً لا يخص أمراً دون آخر .

واستأنس لهذا بما ذكره الأئمة من المفسرين؛ القاضي ناصر الدين البيضاوي والشهاب الخفاجي، والشيخ زادة في حاشيتهما على البيضاوي، والشيخ الجمل علي الجلالين .

قال الله تعالى: ﴿ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓ ﴾، أي اجعل لي الصلاح سارياً في ذريتي راسخاً فيهم، وعُدّي (في) لتضمنه معنى اللطف أي: الطف بي في ذريتي أو هو نزل منزلة اللازم، ثم عدّي بـ (في)؛ ليفيد سريان الصلاح فيهم وكونهم كالظرف له لتمكنه فيهم[1] .

الآية الرابعة:

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾[التين: 4]

والأمر فيه أظهر مما سبق؛ لأن الذين تمحّلوا[2] زيادة (في)، قدّروا الآية هكذا لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم، وفسّروا الخلق بالتقويم أي: لقد قوّمنا الإنسان أحسن تقويم. ونحن نعلم أن هذا التفسير باطل؛ لا يتناسب مع موضوعية القرآن، ولا يتفق مع دقة ألفاظه ومعانيه، فنحن نعلم أن القرآن يفرق بين الخلق والتصوير والتسوية والتعديل، ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ﴾ [الأعراف: 11].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝ ﴾ [الانفطار: 6،7]. فنرى أن هذه المعاني جاء معطوف بعضها على بعض بغير الواو أفليس من التمحل و التكلف بعد هذا أن تفسر الكلمة بغير معناها الذي هو لها .

وأن يترتب على هذا التفسير القول بزيادة كلمة لا يستقيم المعنى بدونها ؟ فإن (في) وما بعدها في موضع النصب على الحالية: أي خلقناه حال كونه في أحسن قوام وأفضل صورة، يختلف عن غيره من المخلوقات.

---

(1)الجمل على الجلالين (4/ 129).

(2) إملاء ما منّ الرحمن (2/ 156)، الجمل على الجلالين (4/ 549) .

المبحث السابع: حرف الواو

لم يكن حظ الواو بأقل من غيرها عند دعاة الزيادة، فلقد ذكروا نيفاً وعشرين آية ولكن التكلُّف والتمحُّل ظاهران فيما ذكروه، وإن التحمُّل الإعرابي واضح كل الوضوح كما سنرى إن شاء الله، ومن هذه الآيات.

الآية الأولى:

ومما عدوه[1] زائداً قوله تعالى ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ﴾ [هود:74].

ما نظن الكلام بحاجة أن يُردّ عليه، لأنه ليس المقصود أنه لما ذهب عن إبراهيم الروع جاءته البشرى، إنما الذي يقتضيهُ النظم الكريم لما ذهب عن إبراهيم الروع جاءته البشرى؟ أُثلج صدره وطمأنت نفسه، وأخذ يجادلنا في قوم لوط. فما أبعد الواو في قوله تعالى: ﴿ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ ﴾ عن الزيادة.

بيان ذلك أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام حينما جاءته الملائكة نكرهم وأوجس منهم خيفة، ولكنهم آنسوه، وبيَّنوا أنهم جاءوا لإهلاك قوم لوط، وبشّروه بغلام فحصل لإبراهيم عليه الصلاة والسلام مسرتان اثنتان:

الأولى: ذهاب الروع حينما عرفهم ملائكة.

الثانية: البشرى بغلام وهو شيخ وامرأته عجوز.

هما أمران- إذن- والقول بزيادة الواو لا ينسجم مع هذا التعبير؟ لأنه يجعل أحدهما- وهو مجيء البشرى- مرتباً على ذهاب الروع، وليس هذا ما يقصده القرآن، والله أعلم.

---

(1) الأشباه والنظائر للإمام السيوطي (4/ 13).

الآية الثانية:

ومثل هذا ما جاء في السورة نفسها قال تعالى ﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ ﴾ [هود:66]

التقدير عندهم: نجّينا صالحاً برحمة منا من خزي يومئذ.

وقولهم[1] بالزيادة هنا كذلك تكلُّف وتمحل؛ لأنهُ ليس المقصود نجينا صالحاً من خزي يومئذ، وإنما أنجيناهم برحمة منا ونجيناهم من خزي يومئذٍ. هما كرامتان إذن لصالح عليه السلام ومن معه:

الأولى: إكرامهم برحمة من الله.

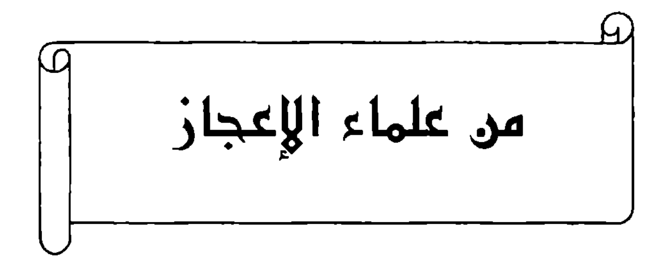
والثانية: نجاتهم من الخزي في ذلك اليوم.

وهذا أعظم في الإنعام من أن يقال: نجَّيناه من الخزي؛ لأنها حينذاك تكون نعمة واحدة، أما نظم الآية الكريمة فيبين أنهما نعمتان اثنتان، إحداهما معنوية وهي الإكرام، والثانية مادية، وهي التنجية من العذاب.

---

(1) الجمل على الجلالين (2/ 402).

الفصل الخامس



ويندرج تحته أربعة مباحث:-

المبحث الأول: الإمام الباقلاني.

المبحث الثاني: القاضي عبد الجبار الهمذاني.

المبحث الثالث: الإمام عبد القاهر الجرجاني.

المبحث الرابع: الإمام محمود بن عمر الزمخشري.

المبحث الأول: الإمام الباقلاني

المطلب الأول: الباقلاني:-

هو محمد بن الطيب بن محمد، أبو بكر، قاض من كبار علماء الكلام انتهت إليه الرياسة في مذهب الأشاعرة، وُلد عام 338هـ وتوفي عام 403 هـ.

المطلب الثاني: كتاب إعجاز القرآن للباقلاني:

والباقلاني إمام من أئمة المتكلمين، وشيخ من شيوخ الأشاعرة، ولقد جمع إلى هذا كثيراً من جوانب المعرفة، وكتابه يدل بحق على علو كعب الرجل، ورسوخ قدمه، وطول باعه، وسعة إطلاعه، ففضلاً عن أنه إمام من أئمة علم الكلام فهو كذلك إمام من أئمة اللغة أدباً وشعراً وبلاغة ونقداً.

كتب الباقلاني إعجاز القرآن، وغيره من الكتب الكثيرة، مدافعاً عن حرمة الدين، ذاباً عن الكتاب والسنة، راداً كُل ما يجده مما يلقيه خصوم الإسلام من شبهات ومما يوحون به من شكوك، ومما ينفثونه من ترهات وأباطيل، ومن كتبه ذات الشأن والقيمة غير كتاب إعجاز القرآن، التمهيد، والانتصار، ولقد كان الرجل مع سعة علمه لسناً قوي العارض في الحجاج، يدل على ذلك سيرته مع خصومه .

و لن نعدو الحقيقة إذا قلنا أنه لم يشتهر كتاب في الإعجاز كإعجاز القرآن للباقلاني، فلقد ظلّ هذا الكتاب على مدى القرون البالغة المرجع الوحيد لهذه المادة، بل إن كثيراً من المختصين بالدراسات القرآنية لم يعرفوا غير هذا الكتاب .

اشتمل كتاب الباقلاني على موضوعات متعددة بعضها جوهري في قضية الإعجاز وذلك كوجوه إعجاز القرآن، و كونه معجزة النبي - صلى الله عليه وسلم- والتحدي به وبعضها بعيد عن قضية الإعجاز لا يتصل بها إلا من سبب بعيد كحديثه عن نقد الشعر وتحليله لكثير من القصائد الشعرية [1]، وموازنته بين

---

(1) كمعلقة امرؤ القيس، وقصيدة البحتري: أهلا بذلكم الخيال المقبل .

أسلوب القرآن الكريم، وبعض خطب النبي -صلى الله عليه وسلم - وللصحابة وغيرهم رضوان الله عليهم .

وبعضها وسط بين هذا و ذاك يتصل بموضوع الإعجاز، وذلك كحديثه عن السجع ونفيه من كتاب الله تبارك وتعالى، كما أن حديثه عن الإعجاز نجده تارة ذا طابع أدبي بياني وتارة أخرى ذا صبغة كلامية تتصل بنظرات المتكلمين وأساليبهم[1] .

وجوه إعجاز القرآن عند الباقلاني:

يذكر الباقلاني بأنّ وجوه الإعجاز كما قال به أصحابه -يعني الأشاعرة - تظهر من جهات ثلاث:

1. أخبار الغيب التي أخبر عنها القرآن قبل أن تحدث .
2. الأخبار عن الأمم الماضية مع أمية الرسول (ﷺ).
3. نظمه البديع [2].

و يفصل الباقلاني فيما بعد هذه الوجوه؛ فالإخبار بالغيب في مواقع كثيرة ومواضع متعددة، وأما عن أنباء الأمم السابقة مع أمية الرسول عليه الصلاة والسلام فإنه يدل على الإعجاز، لأن هذه الأخبار الصادقة لا تكون إلا ممن عرف التاريخ واستوعب أنباء الأمم السابقة، والنبي -صلى الله عليه وسلم- باتفاق لم يكن شأنه كذلك .

والباقلاني كان أكثر تفصيلاً في الوجه الثالث بل إن كتابه يكاد يكون مبنياً على هذا الوجه، وهو كون القرآن بديع النظم عجيب التأليف، مُتناهٍ في البلاغة[3] .

---

(1) إعجاز القرآن الكريم لفضل حسن عباس وسناء فضل عباس. ص52 ،53.
(2) إعجاز القرآن ص.13
(3) إعجاز القرآن: لفضل وسناء عباس ص53، 54.

المبحث الثاني

المطلب الأول: القاضي عبد الجبار الهمذاني[1]:

عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمذاني الآسد آبادي، أبو الحسين، قاض، أصولي، كان شيخ المعتزلة في عصره، ويلقب قاضي القضاة، توفي عام 415هـ له من الكتب: تنزيه القرآن عن المطاعن .

المطلب الثاني: ذكر فكرة عن كتاب المغني في أبواب التوحيد والعدل والقاضي الهمذاني من أئمة المعتزلة بخاصة، والمسلمين بعامة، تأثر القاضي بشيوخ الاعتزال وبخاصة أبا علي وأبا هاشم، وإن لم يتلق عنهما مباشرة، وهو كثيراً ما ينقل عنهما وعن غيرهما كأبي الهذيل العلاف والذي يهمنا من آثاره الكثيرة القيّمة حديثه عن إعجاز القرآن في سفره الضخم 'المغنى في أبواب التوحيد والعدل'، فأنت حيثما تتصفح الجزء السادس عشر من هذا الكتاب، وهو مجلد يشتمل على مئات الصفحات تجد أن جله في الحديث عن الإعجاز.

عرض القاضي عبد الجبار في هذا الجزء لقضايا متعددة، فقد تحدث عن الخبر وما يتصل به، ثم تحدث عن الرسالة والرسول، وعن التواتر الذي ثبت به القرآن.

وقد بين لنا المراد من كلمة (الإعجاز) حين قال: ومعنى قولنا في القرآن أنه معجز أنه يتعذر على المتقدمين في الفصاحة فعل مثله في القدر الذي اختص به[2].

ويتحدث عن الفصاحة، فبين أن الكلام يكون بجزالة لفظه وحسن معناه، ولا بد من اعتبار هذين الأمرين، لأنه لو كان جزل اللفظ ركيك المعنى لم يعد فصيحاً،

---

(1) من كتاب إعجاز القرآن الكريم: فضل وسناء عباس ص60.

(2) ص226.

لا تظهر في الكلمات المفردة، وإنما بضم هذه الكلمات بعضها إلى بعض، ويذكر جهات ثلاث لا رابع لها، تظهر بها فصاحة الكلام:

الجهة الأولى: اختيار الكلمة نفسها.

الجهة الثانية: حركة هذه الكلمة من حيث الإعراب.

الجهة الثالثة: موقع هذه الكلمة تقديماً أو تأخيراً، وتعريفاً أو تنكيراً، إلى غير ما هنالك من أساليب.

المبحث الثالث

المطلب الأول: عبد القاهر الجرجاني:

عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، واضع أصول البلاغة كان من أئمة اللغة، وله شعر، من كتبه: أسرار البلاغة، ودلائل الإعجاز، والجمل في النحو، والمغني في شرح الإيضاح، توفي عام 471 هـ .

اقتضت مشيئة الله سبحانه وتعالى أن يختلف الناس في مواهبهم وقدرهم، ففي مختلف العصور نجد من الناس من هيّأ الله لهم وسائل الإبداع فهم يسبقون غيرهم، مما يحمل أبناء العصر كل منهم على الاعتراف لهؤلاء، ولقد كان عبد القاهر- رحمه الله- من هذه الصفوة الذين برزوا، فكان ما أنتجه فكره وسطّر براعة إبداعه، اعترف له به المتصفون، وما أبعد الفرق بين الذاكرة الحافظة التي تحفظ أقوال السابقين، وبين العقلية المبدعة المفكرة التي تفيد من السابقين، ولكنها تبرز جديداً يكون مثار الإعجاب، وشغل الباحثين يجددون فيه الجدّ والإبداع.

لعل عبد القاهر كان أقل إنتاجاً من كثير من معاصريه وممن سبقوه، وممن جاءوا بعده وهذا إذا راعينا الجانب الكمي، ولكن الجانب الكمي وحده لا يغني كبير غناء في كثير من الأحيان.

كان عبد القاهر- رحمه الله- متكلماً أشعرياً، وكان إماماً في اللغة والنحو والأدب والبيان والنقد، وهي معارف يتصل بعضها ببعض، وكان له نتاج جيد يعنينا منه ما يتصل بإعجاز القرآن الكريم ومن أبرزها الرسالة الشافية ودلائل الإعجاز.

المطلب الثاني:

الرسالة الشافية: وهي جزء صغير عرض فيها لبعض القضايا الأولى التي تتصل بالإعجاز، حيث أثبت عجز العرب عن أن يأتوا بمثل هذا القرآن أو بسورة

منه وناقش فيها القائلين بالصرفَة، كل ذلك بأسلوب قوي متين، وقد أشار إلى ذلك في مقدمة رسالته، ولكنه لم يتعرض في هذه الرسالة إلى ما يكون به الإعجاز.

أما ما يكون به الإعجاز- كما يراه- فقد أفرد له كتابه (دلائل الإعجاز) وهو الذي ضمّنه نظريته في النظم.

وكتاب دلائل الإعجاز كان فيه جانب عملي وهي الفصول التي كتبها عن التقديم والتأخير والحذف والذكر، والفصل والوصل، والتعريف والتنكير، والتأكيد والفروق بين الخبر والقصر، إلى غير ذلك من فصول. وفي هذه الفصول[1] كلها بذكر تطبيقات عملية من آيات القرآن الكريم أو من الشعر الجيد ليبرهن على أن النظم هو الذي يرجع إليه فضل الكلام.

المطلب الثالث: نظرية النظم:

لا بد قبل شرح هذه النظرية من أن نعرف بأنّ الناس كانوا قبل عبد القاهر وفي عصره فريقين: فريقاً شغف باللفظ ورأى أنه هو الأمر الذي يتفاضل به الكلام، فكان يجهد نفسه في اختيار الكلمات وتنقيتها.

والفريق الآخر رأى أن الفضيلة للمعنى، وأن الألفاظ هي القوالب التي توضح فيها المعاني.[2]

ويجيء عبد القاهر – رحمه الله- ويقف أمام هذين الفريقين أنصار المعنى وأنصار اللفظ، وبعد أن هضم كثيراً من أنواع المعارف التي كانت في عصره وبخاصة النحو والأدب والبيان، وكَتَبَ في إعجاز القرآن، ليبرز للناس نتيجة لهذه الدراسات كلها نظريته في النظم.

---

(1) كتاب إعجاز القرآن الكريم لفضل وسناء عباس ص65

(2) من كتاب إعجاز القرآن الكريم لفضل وسناء عباس ص66

المبحث الرابع

المطلب الأول: الإمام محمود بن عمر الزمخشري[1].

محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الزمخشري (جار الله) أبو القاسم من أئمة العلم بالدين والتفسير واللغة والأدب، سافر إلى مكة فجاور بها زمناً فلقب بجار الله، ولد عام 467 هـ وتوفي عام 538، من كتبه: تفسير الكشاف الفائق في غريب اللغة المستقصى في الأمثال وغيرها.

لقد كان فضل الله عظيماً أن قيّض لكتابه أئمة أعلاماً يبرزون عرائس الإعجاز بأثواب قشيبه، ومظاهر خلاّبة جذّابة، لقد كان فضل الله عظيماً أن قيضّ لنا مثل الزمخشري، يطبق هذه النظرية تطبيقاً عملياً تفصيلياً في تفسير كتاب الله تعالى تفسير الكشاف.

لقد كان الزمخشري بحق عالماً ألمعياً، وجهبذاً أحوذياً، هضم نظرية عبد القاهر في النظم، واستثمرها استثماراً تاماً في تطبيقها على آي الذكر الحكيم وظهر ذلك جلياً في الكشاف كما قلت، بل زاد عليها كثيراً مما جادت به قريحته وأنتجه فكره، وسنضرب بعض الأمثلة التي أفادها الزمخشري من نظرية عبد القاهر في تفسيره.

عرفتم من قبل أن كتاب دلائل الإعجاز كان فيه جانب عملي، وهي الفصول التي كتبها عن التقديم والتأخير والحذف والذكر، والفصل والوصل، والتعريف والتنكير، وغير ذلك مما عرضنا له من قبل، ولنعيش مع الزمخشري، وهو يشرح لنا هذه الفصول شرحاً عملياً في تنزيلها على الآيات الكريمة.

---

(1) المرجع السابق نفسه .

1) عند قوله سبحانه ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة:2] يتساءل الزمخشري: لِمَ قدم الريب في هذه الآية الكريمة؟ وهو اسم (لا) النافية للجنس على الجار والمجرور، بينما جاءت آية أخرى على عكس ذلك فتقدم فيها الجار والمجرور، وهي قوله سبحانه في وصف خمر الجنة ﴿ **لا فيها غول ولا هم يُنزفون**﴾ ، فهو يفيد مما ذكره عبد القاهر في التقديم والتأخير فتقديم الخبر على المبتدأ يفيد التخصيص، لذلك جاء نظم كل من الآيتين متفقاً ومنسجماً مع المعنى الذي تحدثت عنه كل منهما.

فقوله تعالى ﴿لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ﴾ كل الذي يفيده نفي جنس الريب عن القرآن الكريم دون التعرض لغيره من الكتب، إ ذ لو قال ﴿**لا فيه ريب**﴾ لكان المعنى نفي الريب عن القرآن وإثباته لغيره من الكتب الأخرى، وهذا غير مراد هنا .

أما قوله ﴿**لا فيها غول**﴾ فالمقصود منه شيء آخر، إذ للقرآن هنا هدفان اثنان: نفي الغول عن خمر الآخرة وهو ما فيها من ضرر، وهذا هو الهدف الأول، أمّا الهدف الثاني فهو إثباته في خمر الدنيا ولو قال ﴿**لا غول فيها**﴾ لم تفد إلا شيئاً واحداً وهو نفي الغول عن خمر الآخرة.

فهناك فرق في قولنا مثلاً: (لا ضجة في الحجرة المجاورة) وقولنا (ليس في الحجرة المجاورة ضجة).

2) عند قوله سبحانه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[البقرة: 5]، يتساءل الزمخشري، لم وسطت الواو في قوله تعالى ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ﴾ ولكننا لا نجدها في آية الأعراف ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ [الأعراف:179].

ويجيب الزمخشري بأن الواو وسطت في آية البقرة، لأن الجزاء مختلف فللمتقين جزاءان: صحة المنهج وهو قوله ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْۖ ﴾[البقرة:5] ثم الغاية والنتيجة وهي قوله ﴿ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[البقرة: 5]، فالأمران مختلفان، لذا جاء حرف العطف، أما آية الأعراف فليس فيها إلا شيء واحد، فإن كونهم كالأنعام بيان لغفلتهم، ولو أن الواو ذكرت في الآية فقال:﴿أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَـٰفِلُونَ﴾[الأعراف:179]

كما جاءت آية البقرة، لترتب عليه أمر محال، وهو أن الأنعام ليست غافلة، وهذا ما بيّنه عبد القاهر بياناً شافياً في حديثه عن الفصل و الوصل .

3) عند قوله سبحانه:﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ [البقرة:15] يبين الزمخشري حكمة مجيء الخبر جملة فعلية وهي ﴿يَسْتَهْزِئُ﴾ [البقرة:15] وعند قوله سبحانه: ﴿وَكَلْبُهُم بَـٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِۚ -[**الكهف**:18] **يبين الحكمة من مجيء الخبر اسماً.**

أما الأولى: فلقد جاء الخبر جملة فعلية لأنه يدل على التجدد، وأما الثانية فلأن مجيء الخبر اسماً يدل على الثبوت، وهذا ما بينه عبد القاهر وهو يتحدث عن الفروق بين الخبر.

4) **عند قوله**: ﴿وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[البقرة: 5] يبين الزمخشري الحكمة من مجيء ضمير الفعل (هم) والحكمة من تعريف الخبر ﴿ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: 5] فضمير الفعل يؤتى به للتأكيد ولبيان أن ما بعده خبر لا صفة، كما بيّن أن الهدف من التعريف الاختصاص أي هم المفلحون لا غيرهم. وكل هذا مما عرض له عبد القاهر وأطال النفس فيه.

5) وعند قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص:23، 24] يقول: فإن قلت: لم ترك المفعول غير مذكور في قوله ﴿ يَسْقُونَ ﴾ [القصص:23] و﴿تَذُودَانِ﴾ [القصص:23] و﴿لَا نَسْقِى ﴾ [القصص:23] و﴿ فَسَقَىٰ لَهُمَا﴾ [القصص: 24]؟ قلت لأن الغرض هو الفعل لا المفعول إلا ترى أنه إنما رحمهما لأنهما كانتا على الزيادة وهم على السقي، ولم يرحمهما لأن مزودهما غنم ومسقيهما إبل مثلاً، وكذلك قولهما ﴿ لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ﴾[القصص:23] المقصود به السقي ليس المسقي[1].

وقد ذكر هذا الإمام عبد القاهر، وبين أن المفاعيل حذفت من الأفعال الأربعة؛ لأن الغرض أن يعلم أنه كان من الناس في تلك الحال سقي، ومن المرأتين ذود وأنهما قالتا لا يكون منا سقي، وأنه كان من موسى بعد ذلك سقي، أما ما كان المسقي أغناماً أم إبلاً فخارج عن الغرض، ولو قال (تزودان غنماً) لظنّ أن موسى عليه الصلاة والسلام لم ينكر عليهما الذود من حيث هو ذود ولكنه أنكر عليهما أن تذود أغناماً، ولو ذادتا يقرأ لما أنكر ذلك[2].

وهكذا نجد أن الزمخشري يعيش مع نظرية عبد القاهر في تفسير الكشاف، بل لا يكتفي بذلك فبين لنا ألواناً من الإعجاز البياني. ولعلنا لا نغالي ولا نتجاوز الحقيقة إذا قلنا أن الإبداع في تقرير قضايا الإعجاز وقف عندما قدره عبد القاهر في

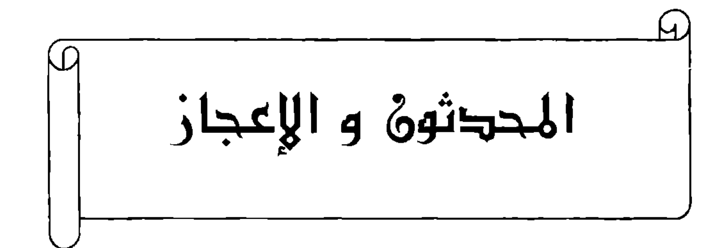
---

(1) الكشاف:للإمام الزمخشري (1/ 45).

(2) الدلائل: للإمام الجرجاني ص161.

نظريته، وطبقه الزمخشري في كشافه، و الذين جاؤوا من بعدهما لم يزيـدوا شـيئاً ذا بال، إنما كان الذي ذكروه شـرحاً أو اختـصاراً، أو نقـلاً وقـد تظهـر عليـه سمـات التكلف.

الفصل السادس



المبحث الأول: إعجاز القرآن للرافعي.

المبحث الثاني: الإعجاز القرآني عند سيد قطب.

المبحث الثالث: الإعجاز البياني في القرآن - بنت الشاطئ.

المبحث الرابع: الشيخ محمد متولي الشعراوي.

المحدثون والإعجاز:

يحمل هذا العلم في كل زمن قوم ينفون عنه كل تحريف، ويميطون عن طريقه كل أذى، لذا رأينا للمحدثين في هذا العصر جهوداً طيبة مشكورة في موضوع الإعجاز، وإن كانوا قد أفادوا كثيراً ممن تقدمهم من العلماء، فلقد كان لكثير منهم ملحوظات جديرة بالتقدير، حرية بالتسجيل، ثم إن لكل عصر أسلوبه الذي يلائمه، وطريقته التي تناسبه، وسنعلمكم على نتائج هؤلاء لتقطفوا من جناهم، محاولين أن نذلل لكم هذه القطوف لتكون دانية إن شاء الله.

كان للأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده -رحمه الله- جهد لا ينكر في النهضة التفسيرية، وما يتصل بعلوم القرآن الكريم، ولغته وبلاغته، فلقد ظل كتاب عبد القاهر -رحمه الله- الدلائل والأسرار بعيدين عن متناول العلماء والأدباء المثقفين حقبة طويلة من الزمن حتى جاء الشيخ -رحمه الله- فحببهما إلى المثقفين أو كان له حلقة علم في تدريسهما، كما كان له مجالس في جامع الأزهر لتدريس التفسير، وكان من نتائج ذلك كله هذه الجهود التي وجدناها في آثاره وآثار العلماء من بعده.

المبحث الأول: إعجاز القرآن للرافعي

المطلب الأول: كان أول كتاب ظهر في إعجاز القرآن الكريم للأستاذ مصطفى صادق الرافعي -رحمه الله- والرافعي منحة من منح الله لهذه الأمة في عصر كان الناس في أمسّ الحاجة إليه، فلقد وهبه الله قلماً ذاباً عن القرآن و لغته، أمام هجمات شرسة، وحقا كان الرافعي كاتب العربية المدافع عنها، جعل الله منه في الأواخر كما جعل من حسّان في الأوائل .كانت كتابته تتصف بالعمق في الأسلوب، مع سعة في الإطلاع، مع قوة في العرض، يزين ذلك كله عاطفة صادقة، وإحساس مرهف، وخيال خصب .

كان يرقى مع قارئه في سلم البيان ليصل به إلى السمو الأدبي ولتستمع إليه في هذه الكلمة الحية الموجزة المعبرة: "عابوا السمو الأدبي بأنه قليل، ولكن الخير كذلك، وبأنه مخالف ولكن.. الحق كذلك، وبأنه محير ولكن.. الحسن كذلك، وبأنه كثير التكاليف، ولكن الحرية كذلك.

إن لم يكن البحر فلا تنتظر الدّر، وإن لم يكن السحاب فلا تنتظر المطر وإن لم تكن شجرة الورد فلا تنتظر الورد، وإن يكن الكاتب البياني فلا تنتظر البيان".

والرافعي أديب، لم يقتصر أدبه على النثر وحده، بل كان كاتباً وشاعراً، وناقداً كذلك، وقليل أولئك الذين اجتمعت لهم هذه الصفات كلها، وكما كان الرافعي شاعراً وكاتباً له طابعه المميز في الشعر، وأسلوبه الواضح في الكتابة، فلقد كان أيضا ناقداً له منهجه المستقل في نقده ولم يخرج نقد الرفاعي عن الهدف العام الذي دار في إطار أدبه وهو: الذود عن حمى الدين واللغة العربية، ولقد أفاد الأدب العربي ولغته، وانتفعت حقول الفكر وميادين الثقافة من جهود الرافعي في النقد إفادة غير محدودة، ولعل أنظم كتبه من حيث القيمة العلمية "تاريخ أدب العرب" ويتكون من ثلاثة أجزاء كان الجزء الثاني منه حديثاً عن القرآن الكريم، وهو أصل لكتاب الإعجاز فقد وسعه الرافعي وزاد ما شاء الله له، فكان كتابه "إعجاز القرآن" يحتوي على موضوعين منهما ذو شأن وخطر: أحدهما إعجاز القرآن و الثاني البلاغة النبوية.

بدأ هذا الكتاب بكلمة رصينة جزلة عن القرآن الكريم، ثم تحدث عن علوم القرآن الكريم: نزوله وجمعه وقراءاته، وغير ذلك من موضوعاته، وأخذت هذه ما يقرب من نصف الكتاب، ثم تحدث عن معنى الإعجاز، وذكر جهود السابقين و علّق عليها، وبعد أن انتهى من ذلك كله أنشأ يتحدث عن الإعجاز كما يراه فبيّن بادئ بدء أن القرآن الكريم معجز من جهات ثلاث:

1. من حيث تاريخه بين الكتب السماوية فهو كتاب محفوظ، ولم يطرأ عليه تحريف.

2. من حيث آثاره، فلم يعرف في الدنيا كتاب، كان أثره و لا يزال مثل هذا الكتاب المبين.

3. من حيث حقائقه: وهي حقائق في مجالات متعددة، تعدد أنماط الحياة، ولكنها حقائق ليس فيها ثغرة يتسلل من خلالها زيغ أو زائغ﴿ وَإِنَّهُۥ لَكِتَـٰبٌ عَزِيزٌ ۝ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَـٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصّلت:41، 42]

وبيّن الرافعي أنه ليس له غرض في هذا الحديث عن هذه النواحي الثلاث، وإنما غرضه في هذا الكتاب أن يتحدث عن إعجاز البياني، وهي الجهة الرابعة من جهات إعجاز هذا الكتاب.

ويبيّن أن الفضل يرجع لهذا الكتاب في وحدة الأمة، وبخاصة وحدتها اللغوية ويتحدث في هذا الكتاب عن أسلوب القرآن ونظمه وغرابة أوضاعه التركيبية وهو وإن كان يلتقي في كثير من الحقائق مع كتبه الأقدمون، فإنه والحق يقال صيغ ذلك كله بصيغة جديدة ببراعة بيانه وقوة أسلوبه، وجميل تصويره ونفث أحاسيسه، وصدق عاطفته، وشدة غيرته الإيمانية وسعة معرفته باللغة وأسرارها، فلقد هضم ما كتبه الأقدمون في موضوع اللغة على تعدد جهاته ونواحيه، ففي حديثه عن أسلوب القرآن يبين أنه لما كان الأسلوب، أسلوب كل كاتب إنما ينعكس عن مزاج صاحبه وكان القرآن كتاب الله تبارك وتعالى، أدرك العرب لأول وهلة حينما سمعوه أنهم مهما أتوا من حظ في أفانين الأساليب نظمها ونثرها، فسيظل أسلوب القرآن بعيداً عن متناول ألسنتهم، ومن أن تطمع فيه عقولهم مهما بذلوا في ذلك من محاولات.

المطلب الثاني:

1) في قوله تعالى ﴿ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ﴾ [البقرة:221] كَتَبَ الرافعي[1]:

(.. والآية التي طلبها صاحبك هي قوله تعالى ﴿ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ﴾ والمسيحيون مشركون، لأنهم يشركون مع الله ابناً له ويقولون ثالث ثلاثة، وإن قالوا إنهم غير مشركين، قلنا: فالقيد الآخر﴿ **حتى يؤمنوا** ﴾ والإيمان معروف عندنا، فانظر هذه العقبية في الآية)

2) في قوله تعالى﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا ﴾[آل عمران:67] وقوله تعالى ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ﴾ [النساء:125]

كَتَبَ الرافعي [2]:

.. إن معنى الحنيف إنما هو الذي مال عن الشرك والتشبه والتجسيد مما يزعمه اليهود والنصارى والمشركون. والحنف في اللغة: الميل، وكان العرب يقولون في كلّ من تعبد واعتزل الأوثان: إنه تحنّف، وكلّ من حَجَّ واستقبل البيت سَمّوه حنيفاً، لأنه بيت إبراهيم، ثم توسّع الإسلام في الكلمة على سنته في الألفاظ الإسلامية المعروفة، فالمعنى الصحيح للحنفية أنها الشريعة النقية التي لا شوب فيها من الإلحاد والشرك والتي تعدل بالناس إلى الله وتوجه الخلق إلى الخالق وحده.

---

(1) محمد أبو رية، من رسائل الرافعي، ص551 .

(2) مصطفى صادق الرافعي.

3) في قوله تعالى: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ ﴾ [الأعراف:133]

كَتَبَ الرافعي [1]:

.. وما يشذُّ في القرآن حرفٌ واحدٌ عن قاعدة نظمه المعجز، حتى إنك لو تدبرت الآيات التي لا تقرأ فيها إلا ما يسرده من الأسماء الجامدة وهي بالطبع مَظنة أن لا يكون فيها شيء من دلائل الإعجاز، فإنك ترى إعجازها أبلغ ما يكون في نظمها وجهات سردها، ومن تقديم اسم على غيره أو تأخيره عنه، لنظم حروفه ومكانه من النطق في الجملة، أو لنكتةٍ أخرى من نكت المعاني التي وردت فيها الآية بحيث يوجه شيئاً فيما ليس فيه شيء.

تأمل قوله تعالى ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ ﴾ فإنها خمسة أسماء، أخفها في اللفظ ﴿ٱلطُّوفَانَ وَٱلدَّمَ وَٱلْجَرَادَ﴾وأثقلها ﴿وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ ﴾ فقدّم ﴿لطُّوفَان ﴾ لمكان المدّين فيها حتى يأنس اللسان بخفتها، ثم الجراد وفيها كذلك مدّ، ثم جاء باللفظين الشديدين مبتدئاً بأخفهما في اللسان وأبعدهما في الصوت لمكان تلك الغُنة فيه، ثم جيء بلفظة ﴿ الدم ﴾ آخراً، وهي أخف الخمسة وأقلها حروفاً، ليسرع اللسان فيها ويستقيم لها ذوق النظم ويتم بها هذا الإعجاز في التركيب.

وأنت مهما قلّبت هذه الأسماء الخمسة، فإنك لا ترى لها فصاحة إلا في هذا الوضع، لو قدّمت أو أخرّت لبادرك التهافت والتعثّر، ولأعنتك أن تجيء منها بنظمٍ فصيح. ثم لا ريب أحالك وذلك عن قصد الفصاحة وقطعك دون غايتها ثم

---

(1) الرافعي: تاريخ آداب العرب.

لخرجت الأسماء في اضطراب النطق على ذلك بالسواء، ليس يظهر أخفها من أثقلها، فانظر كيف يكون الإعجاز فيما[1] ليس فيه إعجاز بطبيعته.

4) في قوله تعالى ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغۡرِبَ ٱلشَّمۡسِ وَجَدَهَا تَغۡرُبُ فِي عَيۡنٍ حَمِئَةٖ﴾ [الكهف:86]

كَتَبَ الرافعي[2]:

أما الآية التي سألت عنها:﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغۡرِبَ ٱلشَّمۡسِ وَجَدَهَا تَغۡرُبُ فِي عَيۡنٍ حَمِئَةٖ﴾ فلفظة (وجدها) هنا هي سرّ الإعجاز فإن الآية لا تقرر حقيقة مغرب الشمس حتى يقال إنها خالفت العلم، إذ الشمس أكبر من الأرض بمليون مرة، فلا يعقل أن تغربَ في عينٍ حمئة الخ. وإنما تصف الآية حالة قائمة بشخص معين، فالإسكندر وجد الشمس كذلك، أي في نظره كما يقول فإنك: نظرت في السماء فوجدت الكواكب كلّ نجمٍ كالشراة، فهذا صحيحٌ في وجدانه هو لا في الحقيقة. ولو كان القرآن كلام إنسان في ذلك الزمن لجعلها حقيقة مقررة مفروغاً منها، ولقال كانت الشمس تغرب الخ، أو فإذا الشمس تغرب أو نحو ذلك.

والعين هي المحيط ولا شك والإنسان حين يقفُ على شاطىء البحر يرى الشمس تغرب فيه إذ لا أرض هناك، فكأنها نازلةٌ في الماء، وهنا إعجاز آخر وهو تسمية المحيط العظيم (بعين حمئةٍ)، فإنهُ هو كذلك على الحقيقة، بالنسبة لعظمة جِرْمِ الشمس.

5) في قوله تعالى ﴿ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ﴾ [يس:38]

---

(1) في الأصل: فيها! والصواب ما أثبته.

(2) محمود أبو رية من رسائل الرافعي ص296 .

كَتَبَ الرافعي[1]:

.. تأمل هذا التنكير في قوله ﴿لِمُسۡتَقَرّ﴾ فهو يشعرك أنَّ العالم الشمسي يجري في اللانهاية إلى نهاية محتومة، فما الشمس (بمؤلهةٍ[2]) إذا كان لها استقرار، فهي محدثة فانية، ثم قوله ﴿ لَّهَاۚ ﴾ هو الذي يعين أنها تجري في اللاّنهاية؛ لأن المستقر غير مطلق بل هو لها ثم التعبير بالفعل (دون) غيره (من نحو تسير أو تدور الخ) هو الذي ينطوي إلى الحقيقة الفلكية التي أثبتتها الأرقام، فكل كلمة من الآية إعجازٌ وحده.

6) في قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ وَٱلۡمِيزَانَۗ ﴾ [الشورى:17]

كَتَبَ الرافعي[3]:

هذه الكلمة وحدها في وصف القرآن معجزة، فقد أثبتت كل العلوم أن الميزان أصل الكون، وأنَّ كل شيء بقَدَرٍ ونسبة، وعطف الميزان الحق في وصف القرآن مما يحيِّر العقلَ؛ لأن أحدهما مما يلينا خاصةً، والآخر مما يلي الكون عامةً، حقٌ لا يتغيَّر ولا يتبدَّل، وميزانٌ لا يغيَّر ولا يبدّل.

في قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ﴾ ﴿ نَارٌ حَامِيَةُۢ ﴾ [القارعة:10-11]

وقوله تعالى: ﴿ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴾ [الشورى:17]

---

(1) الرافعي: تاريخ آداب العرب ج2، ص132.

(2) في الأصل: بؤلمة، ولعلها بمؤلهةٍ.. أو بمؤيدةٍ.

(3) الرافعي، تاريخ آداب العرب ج، ص208 وقد جاء ذلك في إطار الحديث عن أسلوب القرآن.

كَتَبَ الرافعي[1].

قال الراغب[2]: كل موضع ذكر في القرآن ﴿ وَمَا أَدۡرَىٰكَ ﴾ فقد عقّب بيانه، نحو ﴿ وَمَا أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ﴾ ﴿ نَارٌ حَامِيَةُۢ ﴾ وكل ذكر فيه ﴿ وَمَا يُدۡرِيكَ ﴾ لم يعقبّه بذلك، نحو ﴿ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴾.

قلنا: وهذا من أدق معاني الإعجاز، فإن ﴿أَدۡرَىٰكَ﴾ صيغة الماضي، والماضي مكشوف معروف، لأنه وقع، ولكن ﴿يُدۡرِيك﴾ صيغة المستقبل والمستقبل محجوب فتأمل وكررّ النظر فإن المقام لا يتسع هنا .

---

(1) مصطفى صادق الرافعي: السحاب الأحمر.

(2) يعني الراغب الأصفهاني

المبحث الثاني

المطلب الأول: الإعجاز القرآني عند سيد قطب:

الشهيد سيد قطب أديب مطبوع معطاء، وكاتب فذ مرهف، ثري العواطف، غني المشاعر، ألمعي الذهن، وهو قبل ذلك كله وبعده يمتاز بسمو الروح، وعمق الإدراك، وقوة الإيمان، تفاعل مع القرآن الكريم، فتفاعل القرآن في نفسه، وكان هذا التفاعل خالياً من الشوائب، بعيداً عن الشبهات، ذلكم أن تفاعل الرجل رحمه الله مع القرآن كان نتيجة رحلة طويلة قضاها مع أفكار أرضية متضاربة متباينة وثقافات متعددة كان أسيرها، استهوت فؤاده، وملكت عليه لُبه، ولكنه بعد أن خبرها جميعاً وجدها نخالات وعقارات فكان لا بد من أن يرجع إلى القرآن وثيقة السماء الوحيدة الخالدة، رجوعاً فيه سلامة العقيدة وصفاء الفكر وحاجات النفس.

ولقد سعدت المكتبة الإسلامية بهذا النتاج الثري المبارك، فمن التصوير الفني في القرآن الكريم، إلى مشاهد القيامة، إلى غير ذلك من كتب ومقالات، ولقد بلغ هذا الإنتاج قمته بما تفتق عنه فكره وقلمه ونفسه رحمه الله، وهو كتاب الظلال[1].

المطلب الثاني: إعجاز القرآن عند سيد قطب:

إنّ سيد قطب رحمه الله لم يكتب كتاباً خاصاً في الإعجاز، ولكنه ما كتب عن القرآن الكريم وهو كثير تتذوق فيه حلاوة الإعجاز، ويرى فيه روحه ونجد فيه لبه وحقيقته، ومن نافلة القول أن يكون الإعجاز البياني الوجه الأول والأتم عند سيد قطب رحمه الله، ولكنه مع ذلك لم يفته أن ينبه إلى وجوه كثيرة من وجوه إعجاز القرآن، يقول (أن إعجاز القرآن أبعد مدى من إعجاز نظمه ومعانيه، وعجز

---

(1) إعجاز القرآن الكريم: فضل عباس وسناء عباس.

الإنس والجن عن الإتيان بمثله، هو عجز كذلك عن إبداع منهج كمنهجه يحيط بما يحيط به[1].

المطلب الثالث: الإعجاز البياني:

الكلمة القرآنية

المتتبع لما كتبه سيد قطب – رحمه الله- يجده يولي الكلمة القرآنية كثيراً من العناية، وهو ينبه على سرها، ويبين جمالها في موضعها، ودقتها في سياقها، وأحقية مكانها بها، فقد اختيرت اختياراً دقيقاً، لأن غيرها لا يؤدي ما تؤديه، وهذا ما نبّه عليه وأشار إليه العلماء السابقون .

النماذج التي توضح أسلوب سيد قطب في تفسير آيات القرآن الكريم:

1) يقول وهو يقارن بين هاتين الآيتين قوله ﴿ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴾ [الحج:5] وقوله ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فصلت:39] لقد جاءت كلمة خاشعة في الآية الثانية، لأنها تتفق مع السياق، فالسياق هنا سياق عبادة، لأن الآية التي قبلها تحدثت عن سجود الليل والنهار و الشمس والقمر، فكان من الحكمة البيانية أن يذكر هذا الخشوع، لأنه متصل بالعبادة، أما الآية الأولى فلقد جاءت الكلمة في سياق الحديث عن نهاية الدنيا وزلزلة الساعة، وإثبات البعثة، فكان المتلائم مع السياق أن تذكر كلمة هامدة.

---

(1) إعجاز القرآن الكريم: المرجع السابق نفسه.

2) ويحدثنا عن سر التعبير في كلمة (سجى) من قوله الله تعالى ﴿ وَٱلضُّحَىٰ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ﴾ [الضحى:1-2]

دون أظلم ودون يغشى، ذلك لأن هذا يتناسب مع السياق الذي جاءت له الآيات، من انقطاع الوحي مدة وفتوره فما هي إلا حالة تشبه (سجى الليل) دون أن يعم ظلامه.

3) وأشار إلى دقة التعبير عند قوله تعالى كَذَٰلِكَ كِدۡنَا لِيُوسُفَ [يوسف: 76]

فقال: والكيد يطلق على التدبير في الخفاء للخير، وللشر سواء، وإن كان الشر قد غلب عليه، وظاهر الأمر هنا أنه شر يحل بأخيه، وهو يحل بإخوته لإحراجهم أمام أبيه، وهو سوء - ولو مؤقتاً- لأبيه، فلهذا اختار تسميته كيداً على إجمال اللفظ، وبالإلماع إلى ظاهره وهو من دقائق التعبير(13/ 34).

4) قال عند قوله تعالى ﴿ يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ ﴾ ويحسون هذه الرحمة ظليلة فسيحة ممتدة، ﴿ يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ ﴾ [الكهف:16]

ولفظه (ينشر) تلقي ظلال السعة والبحبوحة والإفساح، فإذا الكهف فضاء فسيح رحيب.

5) ويبين سر اختيار كلمة (تظلم) في قوله تعالى ﴿ كِلۡتَا ٱلۡجَنَّتَيۡنِ ءَاتَتۡ أُكُلَهَا وَلَمۡ تَظۡلِم مِّنۡهُ شَيۡـًٔا ﴾ [الكهف: 33] قال: ويختار التعبير كلمة (تظلم) في معنى تنقص وتمنع، لتقابل بين الجنتين وصاحبهما الذي ظلم نفسه فبطر ولم يشكر وازدهى وتكبر.

6) ويبين سر التعبير عند قوله سبحانه ﴿ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأۡخُذَ إِلَّا مَن وَجَدۡنَا مَتَـٰعَنَا عِندَهُۥٓ ﴾ [يوسف:79] فما السر في استعمال هـذه الكلمـة (عنـده) ولم يقولوا: معاذ الله أن نأخذ بريئاً مكان سارق؛ لأنه يعلم أن أخاه ليس بسارق.

المبحث الثالث: الإعجاز البياني في القرآن الكريم – بنت الشاطيء

المطلب الأول: ذكر فكرة موجزة عن كتاب الإعجاز البياني في القرآن:-

يشتمل هذا الكتاب كما سمته كاتبته على موضوعين اثنين:-

الأول: إعجاز القرآن.

الثاني: مسائل نافع بن الأزرق.

وكنا نود أن يكون كل من الموضوعين في كتاب مستقل، والذي يعنينا هنا الموضوع الأول الإعجاز البياني، حيث بدأته الكاتبة بقولها: لولا نسب لي في الشيوخ عريق، لتهيب التعدي لهذا الموضوع الدقيق الصعب الذي توارد عليه أئمة من علماء السلف، أفنوا أعمارهم في خدمة القرآن الكريم، وقدموا إلى المكتبة الإسلامية ثمار جهودهم السخية الباذلة وقد عرفت عائشة بيت الشاطئ فيه عدة مباحث تحاول ذكرها وتوضيح بعضها بشكل موجز وهي على النحو التالي:- (توضيح الأسلوب في المدخل والمبحث الأول).

1. مدخل إلى الموضوع.
2. المبحث الأول: وفيه المعجزة، وقضية التحدي، وآيات المعاجزة، ووجوه الإعجاز والبلاغيون والإعجاز.
3. المبحث الثاني: رأيي في الإعجاز وفيه:-

أ- فواتح السور وسر الحروف.

ب- دلالات الألفاظ وسر الكلمة.

ج- الأساليب وسر التعبير.

المدخل: عرضت فيه المسيرة التاريخية للإعجاز منذ القرن الثالث الهجري إلى هذا القرن، ولنا عليها في مدخلها هذا ملحوظتان:-

الملحوظة الأولى: أننا نجد الكاتبة تحاول أن تنقض من قدر علمائنا السابقين وتصورهم جميعاً صورة مستكرهة منفرة، ولم تتحدث بكلمة واحدة تبين فيها منزلة هؤلاء الأعلام الأقدمين منهم والمحدثين، بل همزتهم ونالت منهم جميعاً، وليس هذا أمراً مقبولاً، كما أنها أهملت ما ذكره السابقون من الإشادة بفضل من سبقهم، فهي مثلاً تنقل تفكير ابن حزم للباقلاني، لكنها تهمل إشادة العلوي بعبد القاهر الجرجاني وهذا أمر ما أظنه يليق بصاحبة النسب العريق بالشيوخ كما ذكرت عن نفسها.

الملحوظة الثانية: حينما تتحدث عن القرن الثامن تذكر قول صاحب الطراز يحيى بن حمزة العلوي(إن السابقين أغلقوا بلاغة القرآن ثم تقول: ثم لو عززنا من كان منهم ليس له حظ في المباحث الكلامية الإلهية، ولا كانت له قدم راسخة في العلوم وهم الأكثر كالسكاكي وابن الأثير وصاحب التبيان) وتعلق في الحاشية بأن صاحب التبيان لعله ابن قيم الجوزية صاحب التبيان في أقسام القرآن.

وما كان ينبغي للكاتبة، وهي التي تتحدث من الإعجاز وتاريخه أن تفوتها مثل هذه البدهية لما يلي:-

أولاً: لا ينكر أحد أن ابن القيم كان ذا قدمٍ راسخة في علم الكلام فلا يمكن أن يقصده العلوي.

ثانياً: إن كتاب ابن القيم أقسام القرآن ليس كتاباً في موضوع الإعجاز.

ثالثاً: ذكر العلوي في الطراز أن اسم صاحب كتاب التبيان عبد الكريم أو عبد الواحد، وابن القيم اسمه محمد بن أبي بكر إن صاحب التبيان هذا هو ابن الزملكاني، وهو معروف في بيئة الذين كتبوا عن الإعجاز ثم تحدثت عن

المعجزة وآيات التحدي، وما نظنها جاءت بجديد، ولكنها لا تدع فرصة تسنح لها إلا وتنال من الباقلاني وترد عليه، وهناك بعض الملحوظات على ما قالته، منها أنها ذكرت أن أول آيات التحدي كانت في سورة الإسراء، وسورة الإسراء كما نعلم جميعاً كانت متأخرة النزول؛ لأن الإسراء يرى أكثر العلماء كان قبل الهجرة بسنة أو أكثر قليلاً فلا يعقل- إذن- أن تكون آية الإسراء هي أول آيات التحدي. وعند حديثها عن وجوه الإعجاز، تنقل آراء السابقين، وتركز على أن أعظم هذه الوجوه، الإعجاز البلاغي، وتبين أنها لا تتعرض للإعجاز العلمي لأن كثيرين ممن عرفوا لهذا الوجه ليسوا من ذوي الاختصاص.

البلاغيون والإعجاز: وفي هذا الفصل أسهبت الكاتبة في الحديث عن الذين كتبوا في الإعجاز: الخطابي، الرماني، وعبد الجبار، عبد القاهر وغيرهم[1] .

المطلب الثاني: مع الدكتورة عائشة بنت الشاطيء في دراستها لنقض الترادف:-

قامت الدكتورة عائشة عبد الرحمن بجهد طيب في محاولتها لمنع الترادف بين كلمات قرآنية متقاربة، ظنها بعضهم مترادفة، وبيّنت الفروق. وأثبتت ذلك في كتابها (الإعجاز البياني للقرآن).

قالت في مقدمة مبحث (دلالات الألفاظ وسر الكلمة): (من قديم شَغلت قضية الترادف علماء العربية، واختلفت مذاهبهم فيها، والبيان القرآني يجب أن لا يكون له القول الفصل فيما اختلفوا فيه، حين يَهدي إلى سرِّ الكلمة لا تقوم مقامها كلمة سواها، من الألفاظ المقول بترادفها).

وقد تتبعت ألفاظاً قرآنية زعموها مترادفة في سياق القرآن. وقالت في مفتتح ذلك الاستقرار: (شَهِدَ التتبعُ الاستقرائي لألفاظ القرآن في سياقها أنه يستعمل

---

(1)إعجاز القرآن الكريم ص 131-133

اللفظ بدلالةٍ معينة لا يمكن أن يؤديها لفظ آخر، في المعنى الذي تحشدُ له المعاجم وكتبُ التفسير عدداً قلّ أو كثر من الألفاظ) وختمت دراستها لتلك الألفاظ بقولها:(وقد لا ينبغي لي أن أعترفَ هنا بقصوري عن لْمحِ فروق الدلالة لبعض ألفاظ قرآنية تبدو مترادفة، فليس لي إلا أن أقر بالمعجز والجهل، وأنا أتمثل بكلمة ابن الأعرابي: كل حرفين أوقعتها العرب على معنى واحد، في كل منهما معنى ليس في صاحبه، ربما عرفناه فأخبرنا به، وربما غمض علينا، فلم نلزم العرب جهله..)[1]

والألفاظ المتقاربةُ التي بيّنت الفروق بينهما في دراستها الممتعة الطبية هي: الرؤيا والحلم، وآنس وأبْقر. والنأيْ والبعد. وحَلَفَ وأقسم، وتصدع وتحطّم. والخشوع والخشية، والخضوع والخوف، وزوج وامرأة. وأشتات وشتى. والإنس والإنسان. والنعمة والنعيم.

(1) البيان في إعجاز القرآن: للدكتور صلاح الخالدي.

من التعبير بكلمة(في) دون كلمة (على). وما ذكره الشيخ هنا لا يخلو عن مناقشة، لا لأننا ننكر الغلاف الجوي للأرض؛ بل لأن المتدبر لآي القرآن يجد في تفسير الشيخ تحميلاً للآية فوق ما تحمل، إن القرآن الكريم استعمل كلمة الأرض كثيراً، وكان يستعملها مجرورة ﴿ فَسِيحُواْ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ [التوبة: 2] ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ [الإسراء:36]

واستعملت أيضاً مجرورة بحرف الجر (على)﴿ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ﴾ [الحج:65] والتي تعنيا الآية السابقة، فلماذا استعمل حرف الجر(في) في الآيات السابقة واستعمل حرف الجر(على) في هذه الآية، والغلاف الجوي هو هو؟؟

إن حرف (على) يدل على الاستعلاء، و(في) تدل على الظرفية، والله تبارك وتعالى من رحمته مهد الأرض، وذلّلها لنا ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [الزخرف: 10] ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا ﴾ [الملك:15] ﴾ وجعلها لنا مستقراً، وجعل لنا فيها متاعاً، جعل منها حياتنا ومماتنا ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ [الأعراف:24] ﴿ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴾ [الأعراف:25] .

وعلى ضوء هذه الآيات الكريمة، يمكننا أن ندرك السر الذي استعملت من أجله كلمة (في)، فقد هيّأ الله لنا هذه الأرض نسير فيها دون تكلف ونمشي فيها دون عناء، ظاهرها لنا أحياء، وباطنها لنا أمواتاً ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا

المبحث الرابع: الشيخ محمد متولي الشعراوي

المطلب الأول:

عَرَفَه الناس عن طريق الإذاعة والتلفاز، وهو متحدث لسن، يشرب حديثه شيئاً من اللهجة المصرية، وهو إذ يتحدث يحسن العرض بأسلوب شيق، لذا أعجب به كثير من المشاهدين، وتدور أحاديثه أكثرها حول تفسير القرآن، ولم يخرج الشعراوي كتباً، ولكن أحاديثه للإذاعة والتلفاز كانت تسجل ثم تفرغ من الأشرطة على الورق ويراجعها بعض المعجبين، ويدفعون بها إلى بعض دور النشر، ومنها كتاب المعجزة وهو كتاب يتكون من أربعة أجزاء، وما دام الرجل لم ينقح ما سيرسله إلى المطبعة فإن من الطبيعي أن يغلب طابع التكرار على ما في هذا الكتاب، حتى أننا لنجد القضية الواحدة تذكر مرات عديدة، هذا من حيث الشكل والقالب.

- أما من حيث الموضوع والمضمون، فإن ما تحدث به الشيخ الشعراوي، ونشر فيما بعد فيه كثير من اللفتات، وقد تكون هذه للفتات بيانية، وقد تكون تاريخية، وقد تكون علمية، تتصل بالكون والإنسان.

المطلب الثاني:

قال تعالى: ﴿ قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ [الأنعام: 11] يقول: لماذا قال: سيروا في الأرض ولم يقل على الأرض؟ إن حرف (في) يدل على الظرفية لأن الأرض ظرف المشي والسير، إن الأرض التي أمرتنا الآية بالسير فيها، ليست هي الأرض بمفهومها المادي فقط، أي ليست هي الكرة الأرضية ماء ويابسة، ولكن الأرض هي بغلافها الجوي، فالغلاف الجوي جزء من الأرض يدور معها ويلازمها ومكمل للحياة معها.. فما دام الإنسان في الغلاف الجوي فهو الأرض، وهنا نعرف الحكمة

أَحْيَآءً ﴿٢٥﴾ وَأَمْوَٰتًا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ شَٰمِخَٰتٍ وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا ﴾

[المرسلات:25-27]

فكلمة (في) تفيد هذا المعنى، ألا ترى إلى قوله صلى الله عليه وسلم (إياكم والجلوس في الطرقات) وكلمة (على) لا تعطي هذا المعنى، لا تعطي معنى التذليل والتسهيل والتسخير، بل (على) تعطي شيئاً غير هذا، تقول سرت على السطح وعلى الجبل، والوصول إليهما لا بد له من جهد وعناء، ثم لماذا استعملت كلمة(على) في قوله ﴿ **وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً**﴾ إن لذلك سراً بيانياً عجيباً، إن عباد الرحمن أكرمهم الله بالعزة ﴿ **ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين** ﴾ فهم الأعلون دائماً، وهذه الآية الوحيدة التي استعملت فيها كلمة (على)، فهم يشعرون بهذا العلو الذي ميزهم الله به، ولكنه علو ليس فيه فساد، إنما هو علو فيه شكر لله وتواضع له، وهذا ما تشير إليه الآية الكريمة ﴿ **وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً** ﴾.

الفصل السابع

قصص إسلام رجال تأثروا بالقرآن

المطلب الأول: قصة إسلام المغني الإنجليزي السابق يوسف إسلام.

المطلب الثاني: قصة إسلام العالم الفرنسي موريس بوكاي.

المطلب الثالث: قصة إسلام أستاذ الفيزياء عضو الأكاديمية الطبية الروسية.

المطلب الرابع: قصة إسلام كيث مور عالم الأجنة الشهير.

المطلب الخامس: قصة إسلام البرفيسور ناجاتات تاجامون

المطلب السادس: قصة إسلام الدكتور الفرنسي علي سلمان بنوا.

المطلب السابع: قصة إسلام أستاذ القانون اليهودي بسبب علم المواريث.

المطلب الأول: المغني الإنجليزي السابق يوسف إسلام

يوسف قبل الإسلام:

ولد يوسف إسلام تحت اسم ستيفن ديمتري جورجيو في شهر يوليو / تموز 1947م لأم سورية وأب من القبارصة اليونانيين، وتربى ستيفن في حي ويست انبلندن وكان معتنق للمذهب الأرثوذكسي اليوناني بسبب أن أباه من القبارصة اليونان، وتلقى تعليمه في مدرسة كاثوليكية وحصل ستيفن على 8 ألبومات ذهبية متتالية وحازت أغانيه على شهرة واسعة في بريطانيا والولايات المتحدة.

يوسف إسلام أو المغني الإنجليزي المعروف كات ستيفن سابقاً يعرض قصة إسلامه:-

أود أن أبدأ قصتي بما تعرفونه جميعاً وهو أن الله قد استخلفنا في الأرض وأرسل لنا الرسل وآخرهم محمد صلى الله عليه وسلم ليهدينا إلى الطريق القويم. وعلى الإنسان أن يلاحظ حبه نحو هذا الاستخلاف و أن يسعى لتحضير نفسه للحياة الخالدة القادمة فمن تفوته الفرصة الآن لن تأتيه أخرى فلن نعود ثانية حيث يقول القرآن الكريم، قال الله تبارك و تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَأٓتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ فَذُوقُواْ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ ۖ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ [السجدة:12- 14].

نشأة يوسف إسلام – كما يرويها: -

نشأتُ في بيئة تملؤها أضواء العمل الفني الاستعراضي وكانت أسرتي تدين المسيحية، فلقد تم تنصيري أي أن النصرانية هي الديانة التي أنشأني والدي عليها .

مغني البوب المشهور:

وبدأت أبتعد عن نشأتي الدينية، بمعتقداتها المختلفة شيئا فشيئا وانخرطت في مجال الغناء وكنت أرغب في أن أكون مغني مشهور فأصبح الثراء المطلق هو هدفي، فقدمت الكثير من الأغاني ولكن داخلي في أعماق نفسي كان هناك نداء إنساني ورغبة في مساعدة الفقراء عند تحقيقي للثراء المنشود، وقد حققت نجاحاً واسعاً وأنا لم أتعدى سنواتي التسعة عشر بعد.

واجتاحت صوري وأخباري وسائل الإعلام المختلفة، وكانت في هذه الفقرة وسيلتي لتعدي حدود الزمن والوصول إلى القدرات الفائقة هي الانغماس في عالم الخمور والمخدرات .

الدخول إلى المستشفى:

بعد مضي عام تقريباً من النجاح المادي والحياة الراقية وتحقيق الشهرة أُصبتُ بالسل ودخلت إلى المستشفى، وأثناء وجودي في المستشفى أخذت أُفكّر في حالي وفي حياتي هل أنا جسد فقط، لماذا أنا راقد في هذا الفراش؟ وأسئلة كثيرة بدأت أبحث لها عن إجابة، وكان اعتناق عقائد شرق آسيا سائداً في ذاك الوقت فبدأت أقرأ في هذه المعتقدات وبدأت لأول مرة أفكر في الموت. وقد ازدادت شهرتي في عالم الموسيقى وعانيت من أوقات عصيبة لأن شهرتي وغنائي كانتا تزدادان بينما كنت من داخلي أبحث عن الحقيقة، وأصبحت بعد ذلك مقتنعاً أن البوذية قد تكون عقيدة نبيلة وراقية و لكني لم أكن مستعدا لترك العالم والتفرغ للعبادة فقد كنت ملتصقاً بالدنيا ومتعلقاً بها و لم أكن متعبداً لأن أكون راهبا في محراب البوذية وأعزل نفسي عن العالم وبعدها حاولت أن أجد ضالتي التي أبحث عنها في علم

الأبراج أو الأرقام ومعتقدات أخرى لكني لم أكن مقتنعاً بأي منها . ولم أكن أعرف أي شيء عن الإسلام في ذلك الوقت و تعرّفت عليه عندما سافر أخي إلى القدس وعاد مبهوراً بالمسجد الأقصى وبالحركة والحيوية التي تعج بين جنباته على خلاف الكنائس النصرانية والمعابد اليهودية التي دائماً ما تكون خاوية .

حكايتي مع القرآن:

أحضر لي أخي من القدس نسخة مترجمة من القرآن وعلى الرغم من عدم اعتناقه الإسلام إلا أنه أحس بشيء غريب تجاه هذا الكتاب وتوّقع أن يعجبني و أن أجد فيه ضالتي.

وعندما قرأت النسخة المترجمة من القرآن وجدت فيه الهداية فقد أخبرني عن حقيقة وجودي والهدف من الحياة وحقيقة خلقي ومن أين أتيت. وعندها أيقنت أن هذا هو الدين الحق وأن حقيقة هذا الدين تختلف عن فكرة الغرب عنه وأنها ديانة عملية وليست معتقدات تستعملها عندما يكبر سنك وتقل رغبتك في الحياة مثل المعتقدات الأخرى و بدأت أدرك أن كل شيء من خلق الله ومن صنعه وأنه لا تأخذه سنة ولا نوم وعنها بدأت أتنازل عن تكبري لأنني عرفت خالقي وعرفت أيضا السبب الحقيقي وراء وجودي وهو الخضوع التام لتعاليم الله والانقياد إليه وهو ما يعرف بالإسلام، وعندها اكتشفت أني مسلم في أعماقي .

اعتناق الإسلام:

وفي ذلك الوقت فكرت في الذهاب إلى القدس مثلما فعل أخي وهناك بينما أنا جالس في المسجد سألني رجل ماذا تريد؟ فأخبرته بأني مسلم وبعدها سألني ما اسمك؟ فقلت له سيفنس فتحيّر الرجل، وانضممت إلى صفوف المصلين وحاولت أن أقوم بالحركات قدر المستطاع، بعد عودتي إلى لندن قابلت أخت مسلمة اسمها نفيسة وأخبرتها برغبتي في اعتناق الإسلام فدلتني على مسجد نيورجينت، وكان ذلك في عام 1977مـ بعد عام ونصف تقريباً من قراءتي للقرآن، كنت قد أيقنت

عند ذلك الوقت أنه عليّ أن أتخلص من كبريائي وأتخلص من الشيطان وأتجه اتجاهً واحداً. وفي يوم الجمعة بعد الصلاة اقتربت من الإمام وأعلنت الشهادة بين يديه. رغم تحقيقي للثراء والشهرة إلا أني لم أصل إلى الهداية إلا عن طريق القرآن والآن أصبح بإمكاني تحقيق الاتصال المباشر مع الله بخلاف الحال مع المسيحية والديانات الأخرى، فقد أخبرتني سيدة هندوسية ذات مرة: أنت لا تفهم الهندوسية فنحن نؤمن بإله واحد ولكننا نستخدم هذه التماثيل للتركيز، ومعنى كلامها أنه يجب أن تكون هناك وسائط لتصلك إلى الله. ولكن الإسلام أزال هذه الحواجز والشيء الوحيد الذي يفصل بين المؤمنين وغيرهم الصلاة فهي السبيل إلى الطهارة الروحية.

وأخيرا أود أن أقول أن كل أعمالي ابتغي بها وجه الله وأدعوا الله أن يكون في قصتي عبرة لمن يقرؤها، وأود أن أقرّ أني لم أقابل أي مسلم قبل اقتناعي بالإسلام ولم أتأثر بأي شخص. فقد قرأت القرآن ولاحظت أنه لا يوجد إنسان كامل ولكن الإسلام كامل وإذا قمنا بتطبيق القرآن وتعاليم الرسول عليه الصلاة والسلام فسوف ننجح في هذه الحياة. أدعوا الله أن يوفقنا في إتباع سبيل الرسول عليه الصلاة و السلام، آمين.

المطلب الثاني: قصة إسلام العالم الفرنسي موريس بوكاي

موريس بوكاي:

من هو موريس بوكاي ؟؟ وما أدراك ما فعل موريس بوكاي ؟

إنه شامة فرنسا ورمزها الوضّاء ..

فلقد ولد من أبوين فرنسيين، وترعرع كما ترعرع أهله في الديانة النصرانية، ولما أنهى تعليمه الثانوي انخرط طالباً في كلية الطب في جامعة فرنسا، فكان من الأوائل حتى نال شهادة الطب، وارتقى به الحال حتى أصبح أشهر وأمهر جرّاح عرفته فرنسا الحديثة ..

فكان من مهاراته في الجراحة قصة عجيبة قلبت له حياته و غيّرت كيانه ..

اشتهر عن فرنسا أنها من أكثر الدول اهتماماً بالآثار والتراث، وعندما تسلم الرئيس الفرنسي الاشتراكي الراحل (فرانسوا متران) زمام الحكم في البلاد عام 1981مـ طلبت فرنسا من دولة (مصر) في نهاية الثمانينات استضافة مومياء (فرعون مصر) إلى فرنسا لإجراء اختبارات وفحوصات أثرية ومعالجة .. فتم نقل أشهر طاغوت عرفته مصر .. وهناك وعلى أرض المطار اصطف الرئيس الفرنسي منحنيا هو ووزراؤه وكبار المسؤولين في البلد عند سلم الطائرة ليستقبلوا فرعون مصر استقبال الملوك و كأنه ما زال حيّاً..

و كأنه الآن يصرخ على أهل مصر (أنا ربكم الأعلى)

عندما انتهت مراسم الاستقبال الملكي لفرعون مصر على أرض فرنسا .. حملت مومياء الطاغوت بموكب لا يقل حفاوة عن استقباله وتّم نقله إلى جناح خاص في مركز الآثار الفرنسي، ليبدأ بعدها أكبر علماء الآثار في فرنسا وأطباء

الجراحة والتشريح دراسة تلك المومياء واكتشاف أسرارها، وكان رئيس الجراحين والمسؤول الأول عن دراسة هذه المومياء الفرعونية هو البروفسور موريس بوكاي .

كان المعالجون مهتمين في ترميم المومياء، بينما كان اهتمام رئيسهم (موريس بوكاي) عنهم مختلف للغاية، كان يحاول أن يكتشف كيف مات هذا الملك الفرعوني، وفي ساعة متأخرة من الليل، ظهرت نتائج تحليله النهائية .. لقد كانت بقايا الملح في جسده أكبر دليل على أنه مات غريقاً.. وإن جثته استخرجت من البحر بعد غرقه فوراً، ثم أسرعوا بتحنيط جثته لينجو بدنه، لكن ثمة أمراً غريباً ما زال يحيّره وهو كيف بقيت هذه الجثة دون باقي الجثث الفرعونية المحنطة أكثر سلامة من غيرها، رغم أنها استخرجت من البحر..! بعد غرقه مباشرة، حتى همس أحدهم في أذنه قائلاً لا تتعجل فإن المسلمين يتحدثون عن غرق هذه المومياء.. ولكنه استنكر بشدة هذا الخبر، واستغربه، فمثل هذا الاكتشاف لا يمكن معرفته إلا بتطور العلم الحديث وعبر أجهزة حاسوبية حديثة بالغة الدقة فقال له أحدهم إنّ قرآنهم الذي يؤمنون به يروي قصة عن غرقه وعن سلامة جثته بعد الغرق...!

فازداد ذهولاً وأخذ يتساءل.. كيف يكون هذا وهذه المومياء لم تكتشف أصلاً إلا في عام 1898م أي قبل مائتي عام تقريباً، بينما قرآنهم موجود قبل أكثر من ألف وأربعمائة عام؟!

وكيف يستقيم في العقل هذا، والبشرية جمعاء وليس العرب لم يكونوا يعلمون شيئاً عن قيام قدماء المصريين بتحنيط جثث فراعنتهم إلا قبل عقود قليلة من الزمان فقط؟؟؟

جلس (موريس بوكاي) ليلية محدقاً بجثمان فرعون، يفكر بإمعان عمّا همس به صاحبه له من أن قرآن المسلمين يتحدث عن نجاة هذه الجثة بعد الغرق.. بينما كتابهم المقدس (إنجيل متى ولوقا) يتحدث عن غرق فرعون أثناء مطاردته لسيدنا

موسى عليه السلام دون أن يتعرض لمصير جثمانه البتّة.. وأخذ يقول في نفسه: هل يعقل أن يكون هذا المحنط أمامي هو فرعون مصر الذي كان يطارد موسى؟!

وهل يعقل أن يعرف محمدهم هذا قبل أكثر من ألف عام وأنا للتو أعرفه؟! لم يستطيع (موريس) أن ينام، وطلب أن يأتوا له بالتوراة، فأخذ يقرأ في (سفر الخروج) من التوراة قوله (فرجع الماء وغطى مركبات وفرسان جميع جيش فرعون الذي دخل وراءهم في البحر لم يبقى منهم ولا واحد) .. وبقي موريس بوكاي حائراً.

حتى الإنجيل لم يتحدث عن نجاة هذه الجثة وبقائها سليمة بعد أن تمت معالجة جثمان فرعون وترميمه، أعادت فرنسا لمصر المومياء بتابوت زجاجي فاخر يليق بمقام فرعون! ولكن ..(موريس) لم يهنأ له قرار ولم يهدأ له بال، منذ أن تناقل هذا الخبر المسلمون عن سلامة هذه الجثة! فحزم أمتعته وقرّر أن يسافر إلى المحكمة السعودية لحضور مؤتمر طبي يتواجد فيه جميع من علماء التشريح المسلمين. وهناك كان أول حديث تحدثه معهم عما اكتشفه من نجاة جثة فرعون بعد الغرق.. فقام أحدهم وفتح المصحف وأخذ يقرأ له قوله تعالى ﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ﴾ [يونس:92] .

لقد كان وقع الآية عليه شديداً..

ورجت له نفسه رجة جعلته يقف أمام الحضور ويصرُخ بأعلى صوته (لقد دخلت الإسلام وآمنت بهذا القرآن).

رجع (موريس بوكاي) إلى فرنسا بغير الوجه الذي ذهب به.. وهناك مكث عشر سنوات ليس لديه شغل يشغله سوى دراسة مدى تطابق الحقائق العلمية والمكتشفة حديثاً مع القرآن الكريم، والبحث عن تناقض علمي واحد مما يتحدث

به القرآن ليخرج بعدها نتيجة قوله تعالى ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت:43] كان من ثمرة هذه السنوات التي قضاها الفرنسي موريس أن خرج بتأليف كتاب عن القرآن الكريم هزّ الدول الغربية قاطبة ورجّ علماءها رجاً، لقد كان عنوان الكتاب (القرآن والتوراة والإنجيل والعلم.. دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة) .. فماذا فعل هذا الكتاب؟ من أول طبعة له نفذ من جميع المكتبات!

ثم أعيدت طباعته بمئات الآلاف بعد أن ترجم من لغته الأصلية (الفرنسية) إلى العربية والإنجليزية والإندونيسية والفارسية والصربية والكرواتية والتركية والأوروبية والألمانية..!

لينتشر بعدها في كل مكتبات الشرق والغرب، وصرت تجده بيد أي شاب مصري أو مغربي أو خليجي في أمريكا، فهو يستخدمه ليؤثر في الفتاة التي يريد أن يرتبط بها..! فهو خير كتاب ينتزعها من النصرانية واليهودية إلى وحدانية الإسلام وكماله..

ولقد حاول ممن طمس الله على قلوبهم وأبصارهم من علماء اليهود والنصارى أن يردوا على هذا الكتاب فلم يكتبوا سوى تصريح جدلي ومحاولات يائسة يمليها عليهم وساوس الشيطان..

وآخرهم الدكتور (وليم كامل) في كتابه المسمى(القرآن والكتاب المقدس في نور التاريخ والعلم) فلقد شرّق وغرّب ولم يستطع في النهاية أن يحرز شيئاً..! بل الأعجب من هذا أن بعض العلماء في الغرب بدأ يجهز رداً على الكتاب فلما انغمس بقراءته أكثر وتمعن فيه زيادة.. أسلم ونطق بالشهادتين على الملأ !! فالحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

يقول موريس بوكاي في مقدمة كتابه: لقد أثارت هذه الجوانب العلمية التي يختص بها القرآن دهشتي العميقة في البداية، فلم أكن أعتقد قط بإمكان اكتشاف عدد كبير إلى هذا الحد من الدقة بموضوعيات شديدة التنوع، ومطابقته تماماً للمعارف العلمية الحديثة، وذلك في نص قد كتب منذ أكثر من ثلاثة عشر قرناً..!

معاشر السادة النبلاء..

لا نجد تعليقاً على تلك الديباجة الفرعونية .. سوى أن نتذكر قوله تعالى ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء:82]..

نعم والله لو كان من عند غير الله لما تحقق قوله تعالى في فرعون [فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية] . كانت حقاً آية إلهية في جسد فرعون البالي.. تلك الآية التي أحيت الإسلام في قلب (موريس بوكاي)..

المطلب الثالث:- أستاذ الفيزياء عضو الأكاديمية الطبية الروسية

دعيت مرة لحضور مؤتمر عقد للإعجاز في موسكو فكرهت في بادىء الأمر أن أحضره لأنه يعقد في بلد كانت هي عاصمة الكفر والإلحاد لأكثر من سبعين سنة وقلت في نفسي: ماذا يعلم هؤلاء الناس عن الله حتى ندعوهم إلى مثل نادي به القرآن الكريم ؟! فقيل لي: لا بد من الذهاب فإن الدعوة وُجّهت إلينا من قبل الأكاديمية الطبية الروسية. فذهبنا إلى موسكو وفي أثناء استعراض بعض الآيات الكونية وبالتحديد عند قوله تعالى ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ [السجدة:5] وقف أحد العلماء المسلمين وقال: إذا كانت ألف سنة تساوي قدران من الزمان غير متكافئين دل ذلك على اختلاف السرعة. ثم بدأ يحسب هذه السرعة فقال: ألف سنة ..لا بد وأن تكون ألف سنة قمرية لأن العرب لم يكونوا يعرفون السنة الشمسية والسنة القمرية اثنا عشر شهراً قمرياً ومدة الشهر القمري هي مدار القمر حول الأرض، وهذا المدار محسوب بدقة بالغة، وهو 2'4 بليون كم فقال: 2'4 بليون مضروب في 12 وهو عدد شهور السنة. ثم في ألف سنة ثم يقسم هذا الناتج على أربع و عشرين – وهو عدد ساعات اليوم ثم على سنين – الدقائق- ثم على السنين- الثواني- فتوصل هذا الرجل إلى سرعة أعلى من سرعة الضوء. فوقف أستاذ في الفيزياء وهو يقول: لقد كنت أظنني – قبل هذا المؤتمر- من المبرزين في علم الفيزياء و في علم الضوء بالذات فإذا بعلم أكبر من علمي بكثير و لا أستطيع أن أعتذر عن تقصيري في معرفة هذا العلم إلا أن أعلن أمامكم جميعاً (أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله)، ثم تبعه في ذلك أربعة من المترجمين الذين ما تحدثنا عنهم على الإطلاق وإنما كانوا تابعين في غرفهم الزجاجية يترجمون الحديث من العربية على الروسية والعكس فجاءونا يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً

رسول الله . ليس هذا فحسب وإنما علمنا بعد ذلك أن التلفاز الروسي قد سجل هذه الحلقات وأذاعها كاملة فبلغنا أن أكثر من 17 عالماً من علماء الروس قد أسلموا بمجرد مشاهدتهم لهذه الحلقات.

المطلب الرابع: قصة إسلام العالم الشهير كيث مور عالم الأجنة الشهير[1]

وهو أشهر العلماء في علم الأجنة ويعرفه تقريباً كل أطباء العالم فهو له كتاب يُدرّس في معظم كليات الطب في العالم وقد ترجم هذا الكتاب لأكثر من25 لغة فهو صاحب الكتاب الشهير (The Developing Human) . فوقف هذا الرجل في وسط ذلك الجمع قائلاً " إن التعبيرات القرآنية عن مراحل تكون الجنين في الإنسان لتبلغ من الدقة والشمول ما لم يبلغه العلم الحديث وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على أن هذا القرآن لا يمكن ان يكون إلا كلام الله، وأن محمداً رسول الله".

فقيل له: هل أنت مسلم؟! قال: لا ولكني أشهد أن القرآن كلام الله وأن محمداً مرسل من عند الله، فقيل له: إذاً فأنت مسلم. قال: أنا تحت ضغوط اجتماعية تحول دون إعلان إسلامي الآن ولكن لا تتعجلوا إذا سمعتم يوماً أن كيث مور قد دخل الإسلام. ولقد وصلنا في العام الماضي أنه قد أعلن إسلامه فعلاً فلله الحمد والمنّة[2].

التعريف الموجز عن كيث مور:-

البرفيسور كيث مور من أكبر علماء التشريح والأجنة في العالم، في عام 1984 استلم الجائزة الأكثر بروزاً في حقل علم التشريح في كندا جي.سي.بي. جائزة جرانت من الجمعية الكندية لاختصاصي التشريح وجه العديد من الجمعيات الكندية والأمريكية لاختصاصي التشريح ومجلس اتحاد العلوم.

(1) من كتاب الذين هدى الله : د. زغلول النجار.

(2) من كتاب الذين هدى الله من تأليف الدكتور زغلول النجار

المطلب الخامس: قصة إسلام البرفيسور ناجاتان تاجاسون

بدأت صلتنا بالبرفيسور ناجاتان تاجاسون عندما عرضنا عليه بعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية المتصلة بمجال تخصصه في علم التشريح وبعد أن أجاب على تساؤلاتنا قال:-

نحن كذلك يوجد في كتبنا البوذية المقدسة أوصافاً لأطوار الجنين. نحن في شوق لأن نقف على ما جاء في تلك الكتب.

في لقاءنا القادم.

في العام التالي عندما جاء ممتحناً خارجياً لطلاب الطب بجامعة الملك عبد العزيز سألنا عما وعدنا به وفي أمانة علمية جديرة بالاحترام أجاب أقدم لكم اعتذاري عن معلوماتي السماعية لقد أصبتم دون أن أتأكد من هذه المعلومات ولكني بالرجوع إلى تلك الكتب لم أجد شيئاً حول ذلك الموضوع. عندئذٍ قدّمنا له محاضرة كان قد أعدها البرفيسور كيث مور أستاذ علم التشريح بجامعة تورنتو بكندا وعنوانها مطابقة علم الجنة لما في القرآن الكريم والسنة وسألناه هل تعرف البرفيسور مور؟

- بالطبع إنه من كبار العلماء المشهورين في هذا التخصص وهو مرجع عالمي وإني لمندهش مما سجّله هنا في هذه المحاضرة.

ثم سألناه عدداً من الأسئلة في مجال تخصصه كان من بينها ذلك السؤال المتعلق بالجلد: هل هناك مرحلة ينعدم عندها الإحساس بألم الحرق؟؟

- نعم إذا كان الحرق عميقاً ودمّر عضو الإحساس بالألم .

- حسناً ما رأيك إذن أن القرآن الكريم الذي عند تاريخ نزوله على محمد صلى الله عليه وسلم لأكثر من ألف وأربعمائة عام، قد أشار إلى تلك الحقيقة

العلمية عندما ذكر الطريقة التي سيعاقب الله به الكافرين يوم القيامة حيث يقول عز وجل في كتابه العزيز: **﴿ إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم ناراً كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب ﴾**.

فالقرآن هنا يقرر أنه عندما ينضج الجلد يخلق الله للكفار جلداً جديداً كي يتجدد إحساسهم بالألم وذلك تأكيد من جانب القرآن على أن الأطراف العصبية تجعل الإنسان يشعر بالألم موجودة في الجلد.

- هذا الأمر يدعو للدهشة والغرابة حقيقة فتلك معرفة مبكرة جداً عن مركز الإحساس والأعصاب في الجلد ولا أدري كيف ذكر قرآنكم هذا!!

- تُرى أيمكن أن تكون هذه المعلومات قد استقاها محمد نبي الإسلام من مصدر بشرى؟؟

- بالطبع لا، ففي ذلك الوقت لم تكن هناك معارف بشرية حول هذا الموضوع.

- من أين إذن وكيف عرف ذلك؟!

- المؤكد عندي هو استحالة المصدر البشري ولكني أسألكم من أين تلقى محمد صلى الله عليه وسلم هذه المعلومات الدقيقة؟!

- من عند الله.

- الله !! ومن هو الله؟

وبعد أن شرحنا له المفهوم الإسلامي للفظ الجلالة الأعظم..

راقته تلك الروية وعاد إلى بلاده ليحاضر عن هذه الظاهرة القرآنية التي عايشها وتأثر بها حتى جاء موعد المؤتمر الطبي السعودي الثامن واستمع في الصالة الكبرى التي خصصت للإعجاز على مدى أربعة أيام لكثير من العلماء ولا سيما

غير المسلمين يحاضرون عن ظاهرة الإعجاز العلمي وفي ختام جلسات المؤتمر وقف البر فيسور (تاجاتان تاجا سون) يعلن إسلامه، ويقول:

بعد هذه المرحلة الممتعة والمثيرة فإني أؤمن كل ما ذكر في القرآن الكريم يمكن التدليل على صحته بالوسائل العلمية وحيث أن محمداً نبي الإسلام كان أُمياً إذن لا بد أنه تلقى معلومات عن طريق وحي من خالق عليم بكل شيء. وإنني أعتقد أنـه حان الوقت لأن أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

﴿ ويرى الذين أوتوا العلم الذي أُنزل إليك من ربك هو الحق ويهدي إلى صراط العزيز الحميد ﴾

المطلب السادس: الدكتور الفرنسي علي سلمان بنوا

أنا دكتور في الطب وأنتمي إلى أسرة فرنسية كاثوليكية. وقد كان لاختياري لهذه المهنة أثره في انطباعي بطباع الثقافة العلمية البحتة وهي لا تؤهلني كثيراً للناحية الروحية.

لا يعني هذا أنني لم أكن أعتقد في وجود الله، إلا أنني أقصد أن الطقوس الدينية النصرانية عموماً والكاثوليكية بصفة خاصة، لم تكن لتبعث في نفسي الإحساس بوجوده، وعلى ذلك فقد كان شعوري الفطري بوحدانية الله يحول بيني وبين الإيمان بعقيدة التثليث، وبالتالي بعقيدة تأليه عيسى المسيح.

كنت قبل إن أعرف الإسلام مؤمناً بالقسم الأول من الشهادتين (لا إله إلا الله) وبهذه الآيات من القرآن ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ [الإخلاص: 1-4]

لهذا فإنني أعتبر أن الإيمان بعالم الغيب وما وراء المادة هو الذي جعلني أدين بالإسلام. على أن هناك أسباباً أخرى حفّزتني لذلك أيضاً، منها مثلاً أنني لا أستسيغ دعوى الكاثوليك أن من سلطانهم مغفرة ذنوب البشر نيابة عن الله ومنها أنني لا أصدق مطلقاً لذلك الطقس الكاثوليكي عن العشاء الرباني والخبز المقدس، الذي يمثل جسد المسيح عيسى، ذلك الطقس الطوطمي الذي يماثل ما كانت تؤمن به العصور الأولى البدائية، حيث كانوا يتخذون لهم شعاراً مقدساً، يحرم عليهم الاقتراب منه، ثم يلتهمون جسد هذا المقدس بعد موته حتى تسري فيهم روحه!!!

ومما كان يباعد بيني وبين النصرانية، أنها لا تحوي في تعاليمها شيئاً يتعلق بنظافة وطهارة البدن، لا سيما قبل الصلاة، فكان يخيل لي أن في ذلك انتهاكاً لحرمة

الرب، لأنه كما خلق لنا الروح فقد خلق لنا الجسد كذلك، وكان حق علينا ألا نهمل أجسادنا.

ونلاحظ كذلك أن النصرانية التزمت الصمت فيما يتعلق بغرائز الإنسان الفسيولوجية، بينما نرى أن الإسلام هو الدين الوحيد الذي ينفرد بمراعاة الطبيعة البشرية.

أما مركز الثقل والعامل الرئيسي في اعتناقي للإسلام، فهو القرآن، بدأت قبل أن أسلم، في دراسته.. وأني مدين بالشيء الكثير للكتاب العظيم الذي ألفه مستر مالك بن نبي واسمُه (الظاهرة القرآنية) فاقتنعت بأن القرآن كتاب وحي منزل من عِنْدِ الله.

إن من بين آيات هذا القرآن الذي أوحى الله به منذ أكثر من أربعة عشر قرناً ما يحمل نفس النظريات التي كشفت عنها أحدث الأبحاث العلمية.

كان هذا كافياً لإقناعي وإيماني بالقسم الثاني من الشهادتين (محمد رسول الله) وهكذا تقدمت يوم 20 فبراير سنة 1953م إلى المسجد في باريس وأعلنت إيماني بالإسلام وسجلني مفتي مسجد باريس في سجلات المسلمين وحملت الاسم الجديد (علي سلمان) .

المطلب السابع: إسلام أستاذ القانون اليهودي بسبب علم المواريث

وهذا أستاذ مصري مسلم يعمل بإحدى الجامعات الأمريكية. يقول كنا في حوار قانوني وكان معنا أحد أساتذة القانون من اليهود، فبدأ يتكلم ثم بدأ يخوض في الإسلام والمسلمين. فأردت أن أسكته فسألته: هل تعلم حجم قانون المواريث في الدستور الأمريكي؟ قال نعم، أكثر من ثمانية مجلدات. فقلت له: إذا جئتك بقانون للمواريث لا يزيد على عشرة سطور، فهل تصدق أن الإسلام دين صحيح؟ قال: لا يمكن أن يكون هذا. فأتيت له بآيات المواريث من القرآن الكريم وقدمتها له فجاءني بعد عدة أيام يقول لي: لا يمكن لعقل بشري أن يحصي كل علاقات القربى بهذا الشمول الذي لا ينس أحداً ثم يوزع عليهم الميراث بهذا العدل الذي لا يظلم أحداً. ثم أسلم هذا الرجل.

خاطرة مهمة:

إن الإسلام لا يزال قوياً متماسكاً محفوظاً من أي تشويه، وأن المسلمين فيهم الخير فهم ما زالوا يدافعون عنه بكلِ غالٍ ونفيس، وإن القرآن الكريم هو المعجزة الخالدة إلى يوم القيامة وإعجازه حقيقة قاطعة، وبديهة مقررة، يقررها المسلمون والكافرون، المسلمون بتدبرهم للقرآن وتذوقهم له وإيمانهم به، والكافرون بإقرارهم بعجزهم عن معارضته واعترافهم بإعجازه لهم؛ مما دفع الكثير منهم إلى دخول الإسلام واعتناق دين الوحدانية فأصبحوا مسلمين يدافعون عن الإسلام بما عرفوه عنه من حقٍ وصدقٍ وعدلٍ ورحمةٍ.

قال تعالى: **﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾**.

الفصل الثامن:

دراسة تحليلية لتفسير سورة الإخلاص

مقدمة:

القرآن الكريم لا يزال حتى الآن هو بحراً واسعاً مليئاً بالعلوم والمعارف والأحكام لقوله تعالى: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَـٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَـٰتُ رَبِّى ﴾ [سورة الكهف: 108].

إن القرآن هو المعجزة المنزَّلة على رسوله ألآميّ الذي أكدّ على نبوته لقوله ﴿**نزل به الروح الأمين لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين** ﴾.

إن القرآن قد شغل تفكير كثير من العلماء في تفسيره وألفوا فيه كتباً مثل كتاب العالم سيد قطب.

وابن كثير ومحمد الصابوني وغيرهم كثر..

وما زال مليئاً بالأحكام والمعاني والمعجزات لقوله تعالى ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ سورة الإسراء: [87].

وإني والعياذ بالله من قول كلمة أنا فقد حاولت وبكل تواضع أن أبذل جهدي طالباً من الله تعالى أن يعينني على توصيل بعض المعلومات لإخوتي بالله.

وقد قمت بهذه الدراسة التحليلية لتفسير سورة (الإخلاص) بما تشمل من تعريف وسبب نزول وبلاغة.

أتناول أولاً الحديث عن اسمها وعدد آياتها..

ثم المبحث الثاني: سبب نزولها..

ثم المبحث الثالث: تفسير آياتها..

والمبحث الرابع: أحاديث عن السورة..

والمبحث الخامس: السر الإعجازي في السورة ..

ولقد استغرقت في كتابة – الذي بين يديكم- أياماً محدودة واستخلصت ما يخصُ هذا الموضوع. والحمد لله تعالى الذي أعانني على كتابة ما كتبت، وأسأل الله أن يبارك لي في عملي وأن يتقبله خالصاً لوجهه الكريم.

المدخل التمهيدي:

" لم يكن العرب ينكرون الله ولكن كانوا لا يعرفونه حق المعرفة، فكانوا يشركون به ولا يقدّرونه حق قدره ولا يعبدونه حقّ عبادته وكانوا يشركون به، فقال النصارى نحن نعبد المسيح ابن الله واليهود عزيزاً ابن الله. والمجوس نحن نعبد الشمس والقمر. والمشركون يعبدون الأصنام وقالوا إن الملائكة بنات الله ولكنهم كانوا يعترفون بخلق الله للسماوات والأرض وتسخيره للقمر والشمس وإنزاله الماء من السماء[1] بقوله ﴿ **ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض وسخّر الشمس والقمر ليقولن الله**﴾ [سورة العنكبوت: 61]..

ليبّين أنه ليس لله ولداً ولا والد ولا صاحبة أي هو أحدُ ليس له شيء.

(1)من ظلال القرآن ص (3990)

المبحث الأول

بين يدي السورة الكريمة:-

اسمها وعدد آياتها وترتيبها:

الاسم: سورة الإخلاص، وهي السورة الوحيدة التي نزلت في القرآن دون أن يرد اسمها في آياتها، ولها عشرون اسماً غير الاسم التوقيفي، منها (الصمد)، وقد ذكرهم الرازي في تفسيره، وهي سورة (مكية)

*عدد آياتها: أربع آيات.

* ترتيبها في النزول: الثمانية والعشرون وفي القرآن مئة واثنتي عشر في الجزء الثلاثون.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾

المبحث الثاني: سبب النزول ومناسبة السورة بما قبلها وما بعدها

المطلب الأول: سبب النزول:

فقد رويّ أن بعض المشركين جاءوا إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وقالوا له: يا محمد صف لنا ربك أمن ذهب هو، أم من فضة، أم من زبرجد، أم من ياقوت؟ فنزلت ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ﴾ .. ﴿ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ ﴾ السورة[1].

وقد رويً أنه آتى رهطٌ قالوا معاندين مجادلين هذا الله خالق الخلق فمن خلق الله؟ فغضب رسول الله(صلى الله عليه وسلم) حتى انتقع[2] لونه ثم ساورهم[3] غضباً لربّه فنزل عليه جبريل فسكنه، وقال: خففّ عليك يا محمد، وآتاه من الله بجواب ما سألوه عنه ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ السورة [4].

المطلب الثاني: مناسبة السورة مع ما قبلها وما بعدها:

* مناسبة السورة مع ما قبلها[*].

السورة التي قبلها: سورة الناس.

ولقد بينت سورة الناس الاستعاذة برب الناس ملك الناس إله الناس من الشيطان الوسواس، ونزلت سورة الإخلاص لتبين من هو الله المستعاذ به.

*** مناسبة السورة مع ما بعدها:**

السورة التي بعدها: سورة (النجم)

---

(1) صفوة التفسير ص119.

(2) تغير لونه.

(3) واثبهم وأراد ان يبطش بهم.

(4) هذا الحبيب يا محب ص159.

(*) أورد المناسبة هنا على حسب ترتيب النزول، وليس ترتيب المصحف.

لقد تحدثت سورة الإخلاص عن صفات الله عز وجل كما تم الذكر وقد تحدثت سورة النجم عن الوحي والوحدانية وصدق الوحي ووهن عقيدة الشرك وتهافت أساسها الوهمي الموهون.

المبحث الثالث: تفسيرها

المطلب الأول: الوقفة الأولى مع الآية الأولى ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾

وهي أي قل يا محمد لهؤلاء المشركين المستهزئين إن ربي الذي أعبده والذي أدعوكم لعبادته هو واحد، أحد لا شريك له ولا نضير ولا مماثل ولا مساوي لا في ذاته ولا أفعاله.

وإن وصف الله تعالى الأحد له ثلاثة معانٍ واضحة ببراهين وكلها صحيحة.

الأول: أنه واحد لا ثاني معه فهو نفي للتعدد لقوله تعالى﴿ **أفمن يخلق كمن لا يخلق**﴾ وهو دليل على الإيجاد والخلق فهذا إثبات أن الله تعالى خالق لجميع الموجودات لا يصح أن يكون واحد منهم بشريك له[1].

المطلب الثاني: الوقفة الثانية مع الآية الثانية ﴿الله الصمد﴾.

لقد أكد الله تعالى على وحدانيته واستغنائه عن الخلق بهذه الآية أي هو جلّ وعلا المقصود بالحوائج على الدوام .

يحتاج إليه الخلق وهو مستغني عن العالمين.

(الصمد في اللغة المقصود في قضاء الحاجات، وقال الألوسي: الصمد السيد الذي ليس فوقه أحد)[2].

(وقال عكرمة عن ابن: عباس الصمد يعني الذي يصمد إليه الخلائق في حوائجهم ومسائلهم، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس هو السيد الذي قد كمّل في سؤدده. والشريف الذي قد كمل في شرفه. والعظيم الذي قد كمل في

---

(1) صفوة التفسير (120).

(2) صفوة التفسير (120).

عظمته. والحليم الذي قد كمل في حلمه. والعليم الذي قد كمَّل في علمه. والحكيم الذي قد كمل في حكمته. هو الله سبحانه هذه صفاته لا تنبغي إلا له ليس كمثله شيء[1].

(وقال سفيان عن منصور عن مجاهد: الصمد المصمت، الذي لا جوف له، الصمد هو الذي لا يأكل الطعام ولا يشرب الشراب).

وقال: عبد الله: هو نور يتلألأ[2]

ومعاني الصمد كلها صحيحة وهي صفات الله عز وجل فهو الذي يصمد إليه الحوائج وقد انتهى سؤدده وهو الذي لا جوف له لا يأكل ولا يشرب وهو الحي القيوم الباقي بعد خلقه وهو نور يتلألأ.

المطلب الثالث: الوقفة الثالثة مع الآية الثالثة:-

﴿لم يلد ولم يولد﴾

هي حقيقة إلهية ثابتة أزلية لا تغيرها حال بعد حال صفته الكمال المطلق في جميع الأحوال.

والأولاد انبثاق وامتداد ووجود زائد بعد نقص أو عدم وهو على الله محال.

ثم هي تقتضي الزوجية والتي تقوم على التماثل. وهذا محال على الله أيضا، وفي قوله (لم يلد) أي لم يتخذ ولداً وليس له ابنٌ أو بنات وهذه الآية رد على كل من جعل لله ولداً كاليهود بقولهم: **﴿ عُزيز ابن الله﴾** والنصارى بقولهم **﴿ المسيح ابن الله ﴾** وكالمشركين العرب في زعمهم أن الملائكة بنات الله في قولهم (الملائكة بنات الله) .

---

(1) تفسير القرآن العظيم (574).

(2) تفسير القرآن العظيم (574).

فردّ الله عليهم بأنه ليس له ولد لأن الولد يجب أن يكون من نفس جنس والده والله أزليّ قديم ليس كمثله شيء فلا يمكن أن يكون له ولد . ولأن الوالد يجب أن تكون له زوجة (أم) والله ليس له زوجة؛ لقوله تعالى **﴿بديع السماوات والأرض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة﴾.**

(ولم يولد) أي ولد يولد من أب وأم ولأن كل مولود حادث والله قديم أزليّ فقد نفت الآية أي نسب له من جميع الجهات فهو الأول الذي لا بداية في وجوده والقديم الذي لم يكن معه شيء ولقد تمثلت فيها أعظم وجوه الإعجاز[1].

المطلب الرابع: الوقفة الرابعة مع الآية الرابعة:

﴿ ولم يكن له كفواً أحد ﴾

أي ليس له جلّ وعلا مثيل ولا نضير ولا شبيه أحد في خلقه ولا في ذاته ولا في صفاته[2]

لا في حقيقة الوجود ولا في حقيقة الفاعلية ولا في أي صفة من الصفات الذاتية وهذا كذلك يتحقق بأنه (أحد) وهو نفي للعقيدة الثنائية التي تزعم أن الله هو إله الخير وأن للشر إله يعاكس الله- بزعمهم – ويعاكس عليه أعمال الخير وينشر الفساد في الأرض فقال الله تعالى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير صدق الله العظيم [3].

هو مالك كل شيء وخالقه فكيف يكون له من خلقه نضير يساميه أو قريب يدينه .

---

(1) صفوة التفسير [بتصرف].

(2) صفوة التفسير 120.

(3) في ظلال القرآن 4004.

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم عن ربه في حديث قدسي: (كـذّبني ابـن آدم و لم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك، فأمّا تكذيبه إيّاي فقوله لن يعبـدني كما يراني وليس أول الخلق بأهون عليّ من إعادته وأما شتمه إيّاي فقوله اتخـذ الله ولداً وأنا الأحد الصمد الذي لم يلد و لم يولد و لم يكن له كُفُواً أحد[1] .

(1) صفوة التفاسير (121)

المبحث الرابع: أحاديث عن السورة الكريمة

لقد تحدث عنها رسولنا العظيم في كثير من أحاديثه ليبين لنا عظمة هذه السورة ومقدار جزاءها عند الله لكل من يقرؤها في جميع أوقاته ومن هذه الأحاديث:

قال رسول الله من قرأ قل هو الله أحد عشر مرات بنى الله له قصراً في الجنة، ومن قرأها عشرين بنى الله له قصرين في الجنة، (ومن قرأها ثلاثين مرة بنى الله له ثلاثة قصور في الجنة). فقال عمر بن الخطاب: انكثر قصورنا فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (من قرأ قل هو الله أحد في يوم مائتين مرة كتب الله له ألف وخمسمائة حسنة إلا أن يكون عليه دين".

وقال رسول الله: (من قرأ قل هو الله أحد حين يدخل منزله نفث الفقر عن أهل ذلك المنزل والجيران).

قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (ثلاثة من جاء بهن مع الإيمان دخل من أي أبواب الجنة شاء وزوّج بحور عين حيث شاء: من عفا عن قاتله، وأدّى دين خفيّ، وقرأ في دُبر كل صلاة مكتوبة عشر مرات قل هو الله أحد).

وقال رسول الله: (صلى الله عليه وسلم) من قرأ قل هو الله أحد مائتي مرة حطّ الله عنه ذنوب مائتي سنة .

و قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (من قرأ "قل هو الله أحد" في يوم خمسين مرة غفر الله له ذنوب خمسين عام) .

وقال رسول الله من قال لا إله إلا الله واحد أحد، صمد، لم يتخذ صاحبة ولا ولد ولم يكن له كفواً أحد عشر مرات كتب الله له أربعين ألف آلف حسنة.

وقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): احشدوا فإني سأقرأ عليكم ثلث القرآن فحشد من حشد ثم خرج النبي (صلى الله عليه وسلم) فقرأ "قل هو الله أحد" ثم دخل فقال الصحابة قال رسول الله إني سأقرأ عليكم ثلث القرآن [1].

إني لأرى هذا خبرا جاء من السماء ثم خرج نبي الله (صلى الله عليه وسلم) فقال سأقرأ عليكم ثلث القرآن ألا وأنها تعادل ثلث القرآن) إن النبي (صلى الله عليه وسلم) بعث رجل على سارية وكان يقرأ في صلاتهم فيختم بقول "قل هو الله أحد" فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي. فقال (صلى الله عليه وسلم): سلوه لأي شيء يضع ذلك فسألوه فقال: لأنها صفة الرحمن وأنا أحب أن أقرأها فقال النبي عليه الصلاة والسلام: أخبروه أن الله تعالى يحبه.

وعن ابن أبي ذئب عن أسيد عن معاذ بن عبد الله بن حبيب عن أبيه قال: أصابنا العطش وظلمه فانتفرنا رسول الله عليه الصلاة و السلام يصلي بنا، فأخذ بيدي فقال: (قل " فسكت فقال: "قل " قلت ما أقول ؟ قال " قل هو الله أحد " و المعوذتين حين تمسي و حين تصبح ثلاثاً تكفيك كل يوم مرتين) قال الترمذي: وبهذا الإسناد عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: من أراد أن ينام على فراشه فنام على يمينه ثم قرأ " قل هو الله أحد " مئة مرة فإذا كان يوم القيامة يقول له الرب عز وجل يا عبد أدخل على يمينك الجنة [2] .

وعن عبد الله بن بردة عن أبيه أنه دخل مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) المسجد فإذا رجل يصلي يدعوا يقول: " اللهم إني أسألك بأني أشهد أن لا إله إلا الله الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد " قال: "و الذي نفسي بيده لقد سأله باسمه الأعظم الذي إذا سُئل به أعطى و إذا دعا به أجاب .

وعن أنس بن مالك يقول كنا مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بتبوك فطلعت الشمس بضياء وشعاع ونور لم نرها طلعت فيما مضى بمثله فأتى جبريل إلى

---

(1) تفسير القرآن العظيم 575

(2) المرجع السابق نفسه: ص576.

النبي (صلى الله عليه وسلم) فقال: يا جبريل مالي أرى الشمس طلعت اليوم بضياء وشعاع و نور لم أرها طلعت فيما مضى قال إن ذلك معاوية بن معاوية الليثي مات في المدينة اليوم فبعث الله إليه سبعين ألف ملك يصلون عليه قال: وفيم ذلك؟ قال: كان لكثرة قراءة " قل هو الله أحد " في الليل والنهار وفي ممشاه وقيامه وقعوده فهل لك يا رسول الله أن أقبض لك الأرض فتصلي عليه قال نعم فصلّى عليه [1] .

---

(1) تفسير القرآن العظيم ص 576.

المبحث الخامس: سر الإعجاز في السورة

المطلب الأول: من حيث الألفاظ والمعاني ودلائل الإعجاز القرآني

نلاحظ في هذه السورة الكريمة: اختيار أرقى الكلمات، لكي يتم التعبير عن أغلب المعاني، في حلة رائعة من التركيب .

فالألفاظ - كما نرى- : سلسة وسهلة المخارج ومعدودة المعاني: - واضحة و بيّنة و قريبة للفهم على أسرع وجه، وهي واسعة مترامية الأطراف، قلة الألفاظ التي عبرت عن المعاني.

وجاءت هذه الألفاظ بما تحمله من معاني بأسلوب جميل، يظهر من خلاله بحق الإعجاز الربّاني لهذه السورة الكريمة فجاء الترتيب لآيات السورة بأبهى صورة.

فنرى التناسق والتكامل والوحدانية في صفات الله عز وجل فقد جاءت هذه الآيات لتبين غرض عظيم لا ينتهي في بيان و تثبيت لصفات ذو الجلال و الكمال، وتنزيه للرب بأسمى صور التنزيه عن النقائص وأن الله تعالى يتصف [1]

بصفات أربع لا يتصف بها أحد غيره وهو أنه أحد ولا يلد ولا يولد ولا يوجد له كفوا أحد.

إننا نجد وجوه الإعجاز في كل القرآن يتحقق بعضها في هذه الآية وبعضها لا يتحقق في هذه الآيات .

والذي يتحقق في هذه الآيات: -

1. إخبار بصفات الله تعالى، فالله تعالى يبين فيها بعض صفات التي لا توجد إلا به .

---

(1) نظرات من الإعجاز البياني في القرآن الكريم: ص 107 [بتصرف].

2. تجد فيها أسلوب نقض لعادات العرب فهي لا شعر ولا نثر فهـي معجـزة مستقلة .

3. تجد تأثيرها العظيم في النفس.

4. تجد كل آية تمثل صفة من صفات الله تعالى .

5. تجد أنها احتوت على علوم القرآن الثلاثة "أحكام، توحيد، قصص" .

6. تجد أنها احتوت على البلاغة كأي سورة صغيرة وكبيرة.

7. تجد أنها تخاطب الناس جميعا في كل زمان ومكان .

8. تجد في تلاوتها تعظيماً ومتعة وحلاوة لا تعادلها حلاوة [1].

9. تجد فيها موسيقى قرآنية رائعة في نهاية كل آية فيها حرف "الدال" .

10. تجد تصورها وإبداعها في توضيح الصورة .

11. تجد قوة وأصالة الطابع الرباني فيها وكبرياء الربوبية والجلالة .

المطلب الثاني: البلاغة

تضمنت السورة الكريمة و جوهاً من البديع والبيان نوجزها فيما يأتي:

1. ذكر الاسم الجليل بضمير الشأن (قل هو) للتعظيم والتفخيم.

2. تعريف الطرفين "الله الصمد" لإفادته التخصيص .

3. الجناس الناقص "لم يلد" "لم يولد" لتغيير الشكل .

---

(1) المرجع السابق نفسه: ص 108 [بتصرف].

4. التجريد بأن قول الله " قل هو الله أحد " يقتضي نفي الكفء والولد، وقوله " ولم يكن له كفوا أحد "هو تخصيص الشيء بالذكر بعد دخوله في العموم وذلك لزيادة في الإيضاح والبيان [1] .

5. السجع المرصّع وهو من المحسنات البديعية " قل هو الله أحد الله الصمد".

6. تنكير أحد وتعريف الصمد

أ) الحكمة من تنكير "أحد " أنه مسبوقة بكلمتين هما "هو الله " وهم مبتدأ وخبر وكون المبتدأ والخبر معرفة دلّ على الحصر.

واستغنى بتعريفهما ودلالتهما على الحصر عن تعريف "أحد" فجاء "أحد" نكرة على أصله لأن الأصل في الكلمة هو التنكير.

ب) وحكمة أخرى هي أنه جاء نكرة للتعظيم والتفخيم والتكريم وللإشارة أن الله سبحانه وتعالى لا يمكن تعريفه ولا الإحاطة به.

ج) والتعريف يأتي لإزالة اللبس، وهنا لا يوجد لبس، فمقام الأولوهية واضح، ولذلك استغنى عنه.

والحكمة من تعريف الصمد .

1- لأنه خبر، فقوله (الله الصمد) مبتدأ وخبر، وجاء المعرفتين ليطابقا المعرفتين في الآية الأولى:(هو الله).

2- وتعريف (الله الصمد) يدل على الحصر أيضاً، فالصمدانية[2] محصورة بالله.

3- وعرفها لإزالة اللبس، فلا تطلب إلا من الله ولا ترجو أحداً سواه، فهنا نهي عن طلب غير الله عز وجل.

---

(1) صفوة التفاسير 121

(2) نظرات من الإعجاز البياني في القرآن الكريم: ص 99.

فتنكير فاصلة الآية الأولى(أحد) وتعريف فاصلة الآية الثانية (الصمد) جمال بياني وبديع بلاغي[1]

المطلب الثالث: من حيث أثرها في واقعنا المعاصر المعاش:

إن في هذه السورة الكريمة رغم قصرها جمعت علوم القرآن كافة وصفات الله تعالى، وحدانيته وعدم مماثلته وإذا طبقّت نظرياً وحسياً ومعنوياً سادَ الإيمان جيلاً بعد جيل؛ فبهذه السورة تطمئن القلوب وتهدأ النفوس وترتفع درجات الإسلام فتصبح أمة موحدة لله مخلصة في عملها لوجهه تعالى وبناءً عليه: يأتي النصر بإذنه تعالى وستعيد الأمة مجدها المسلوب..

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

(1) المرجع السابق نفسه.

الفصل التاسع

ملحق للكتاب كنهاية للمطاف

- وقفات فنية و بيانية مع سورة العصر..
- وقفة لغوية مع معنى الكوثر.. من معين إعجاز القرآن البياني..

وقفات فنية و بيانية مع سورة العصر(*)

الحمد لله الذي شرّف وكرّم هذه الأمة بإنزال القرآن عليها، هدىً ونوراً ورحمةً للبشر أجمعين.. والصلاة والسلام على أفصح الناس منطقاً، وأشرفهم لساناً، وأثبتهم جناناً، سيّدنا وحبيبنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين. ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلّم تسليماً مزيداً..

أما بعد:-

فجميعنا يعلم بأن القرآن الكريم هو معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم الخالدة، وأنه كتاب الهداية والنور للبشر أجمعين، فهو بذلك كنز المعارف ونور العقول، ولكل سورة منه روحها الجاذب ووقعها المؤثر، مما يجذب العقل ويستولي على القلب ويأسر المشاعر، ولذلك فعلى الدعاة أن يستمدوا من نبعه الهدايات ويقتبسوا من نوره مشاعل الحضارات.

ومهما قرأنا وكتبنا عن إعجاز القرآن فسوف يبقى في النفس إحساس ينطلق بسر لم تكشف عنه هذه القراءات والكتابات، وإن السر في إعجاز القرآن: هو في عجزنا أن ندرك ذلك السر، فسبحان منزل القرآن.

وفيما يلي نعيش في ظل كلام الرحمن- بتّأمل واستنشاق- مع سورة العصر، ونجملها بثلاث وقفات:-

⋆ الوقفة الأولى مع الآية الأولى:

قال تعالى: ﴿ والعصر ﴾

(*) بقلم: أ. سامي محمد هشام حريز (ماجستير أصول الدين/ التفسير وعلوم القرآن) الجامعة الأردنية.

بدأ الله تعالى هذه السورة الكريمة بالقسم، فالله تعالى يُقسم بالعصر، وقد ذكر العلماء أقوالاً في معنى 'العصر' وهي[1]

1. أنه الدهر.

2. أنه أحد طرفي النهار.

3. أنه أراد صلاة العصر.

4. أنه قسم بزمان الرسول صلى الله عليه وسلم.

وهذا من قبيل اختلاف التنوع، فالعصر: يرمز إلى مفردات ومعان شتى، فهو الدهر وهو اليوم أو الليلة أو آخر النهار إلى الشفق – أي احمرار الشمس- . وشاع استعماله مع وقت من أوقات الصلاة، بل سمّي بها أو سمّيت به .. و'العصر' إذا وردت مع الصلاة فهي مؤنثة، وإن جاءت منفردة، أي بدون ذكر الصلاة فهي تذكر و تؤنث [2].

وأساس معنى'العصر': هو ضغط شيء حتى يتحلب. تقول: عصرت الثوب، وذلك عندما تضغط عليه ليخرج منه الماء [3]، و لهذا سمّى الله السحب معصرات، كما ورد في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا﴾[4]، وكأنّ هذه السحب المحملة بالماء تعصر عصراً، ويضغط عليها، فيخرج الماء منها، وينزل ثجاجا مصبوباً، وإذا كان عصر الشيء هو الضغط عليه لإخراج ما فيه،

---

(1) أورد هذه الأقوال مع أدلتها: الإمام الرازي في تفسيره الكبير ص277-ص279. اقتصرت هنا على ذكر الأقوال فقط، نظراً لعدم اتساع المقام.

(2) بهجت الشيخلي: بلاغة القرآن ص699

(3) ابن فارس: معجم مقاييس اللغة ص782

(4) سورة النبأ:[14]

فإن زمان الناس وعمرهم عصر؛ لأنه يجب عليهم أن يعصروه عصراً، ويضغطوا عليه ضغطاً، ليحسنوا الاستفادة منه، واستخراج منافعه وفوائده.

وعمر الفرد هو عصره الخاص به، الذي يجب عليه أن يعصره، ويحسن استغلاله ومعايشته.

⋆ الوقفة الثانية مع الآية الثانية:

قال تعالى:﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴾:

هذا جواب القسم . والإنسان: في معنى الجمع ؛ لأنه اسم "جنس" أو يراد به الناس .. ولهذا استثنى منه مستثنى جمع الآية الكريمة التالية ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾، ولو كان "الإنسان" واحداً هنا لم يجز الاستثناء منه .

وأصل "الإنسان": إنسيان، وهو لفظ يقع للذكر والأنثى من بني آدم، كما يقال: بعير، فيقع على الناقة و الجمل [1] .

وتعريف "الإنسان" تعريف الجنس مراد به الاستغراق، وهو استغراق عرفي ؛ لأنه يستغرق أفراد النوع الإنساني الموجودين في زمن نزول الآية وهو زمن ظهور الإسلام .

ومخصوص بالناس الذين بلغتهم الدعوة في بلاد العالم على تفاوتهم، ولما استُثني منه ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾ بقي حكمه متحققاً في غير المؤمنين .

(1) بلاغة القرآن ،ص700.

والخُسر: مصدر، وهو ضد الربح في التجارة، استعير هنا السوء وهي عاقبة الإنسان في آخرته من نعيم أو عذاب.

والظرفية في قوله: ﴿لَفِى خُسْرٍ﴾: مجازية، شبّهت ملازمة الخسر بإحاطة الظرف بالمظروف، فكانت أبلغ من أن يقال: إن الإنسان لخاسر.

ومجيء هذا الخبر على العموم مع تأكيده بالقسم وحرف التوكيد في جوابه، يفيد التهويل والإنذار بالحالة المحيطة بمعظم الناس .

وتنكير "خُسر": يجوز أن يكون للتنويع، ويجوز أن يكون مفيداً للتعظيم والتعميم في مقام التهويل وفي سياق القسم.

والمعنى: إن الناس لفي خُسران عظيم وهم المشركون [1] .

"وذكر الإمام الرازي بالنسبة لقوله تعالى في سورة التين ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥﴾، فهناك [2] يدل على أن الابتداء من الكمال والانتهاء إلى النقصان، وهنا [3] يدل على أن الابتداء من النقصان والانتهاء إلى الكمال، فكيف وجه الجمع ؟ قلنا: المذكور في سورة التين أحوال البدن، وهنا أحوال النفس، فلا تعارض بين القولين [4]".

---

(1) ابن عاشور: التحرير و التنوير، ص530-ص532.

(2) أي في سورة التين .

(3) أي في سورة العصر.

(4) الرازي: التفسير الكبير، ص280.

★الوقفة الثالثة مع الآية الثالثة:

قال تعالى:﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ نلحظ في هذه الآية بأنها ذكرت أربع صفات للراجين الفائزين، والذين أحسنوا عَصرَ أعمارهم وأوقاتهم، وهي صفات مقصودة، وترتيبها في السورة مقصود أيضاً.

فبدأت بالإيمان؛ لأنه الأساس المحرك الدافع، الباعث على عصر العمر، وهو الزاد الذي يُزَوِّدُ المؤمن بما يحتاجه لعصر العمر، والسير في الطريق، كما أنه هو الشرط لقبول الأعمال الصالحة عند الله، ثم ذكر بعد الإيمان: عمل الصالحات؛ لأنها ثمرة له . ثم ذكر الصفة الثالثة: وهي أنهم يتواصون بالحق، والحق: هو الإسلام المتمثل في القرآن والسنة وفهم سلف الأمة، والتواصي بالحق لا يكون إلا بعد العلم بالحق، وعرّفه أنه حق، وبعد ذلك جاء بالصفة الرابعة: وهي تواصيهم بالصبر، وهذه خطوة مبنية على ما قبلها، فبعد العلم بالحق وممارسته وتذكره والتواصي به، يأتي التواصي بالصبر عليه، وهذا التواصي: هو عبارة عن تعاهد بين المؤمنين بالالتزام بالحق و الثبات عليه، والصبر على تكاليفه ومشقاته.

وقد اشتمل قوله تعالى ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾: على إقامة المصالح الدينية كلها، فالعقائد الإسلامية والأخلاق الدينية مندرجة في الحق، والأعمال الصالحة وتجنب السيئات مندرجة في الصبر [1] .

ويذكر الإمام القرطبي: بأن قوله تعالى: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ استثناء من الإنسان، إذ هو بمعنى الناس على الصحيح . وقوله تعالى: ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: أي أدّوا الفرائض المفترضة عليهم، وهم أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، قال أبيّ بن كعب: قرأت على رسول الله "والعصر"، ثم

(1) ابن عاشور: التحرير و التنوير ،ص532-ص533.

قلت: ما تفسيرها يا نبي الله ؟ قال: "والعصر: قسم من الله، أقسم ربكم بآخر النهار . إن الإنسان لفي خُسر: أبو جهل . إلا الذين آمنوا: أبو بكر . وعملوا الصالحات: عمر . وتواصوا بالحق: عثمان. وتواصوا بالصبر: علي". رضي الله عنهم أجمعين .

و هكذا خطب ابن عباس على المنبر موقوفاً عليه [1].

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

وقفة لُغوية مع معنى الكوثر..

من معين إعجاز القرآن الكريم[*]

قال الله تعالى : ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾

الكوثر في اللغة: هو من الكثرة، وهو المفرط في الكثرة . قيل لأعرابية رجع ابنها من السفر: بم آب ابنك ؟قالت: آب ابني بكوثر، أي: بالعدد الكثير .

وهو كجوهر (الكثير من كل شيء)،و الكوثر: الرجل الخيّر المعطاء، كثير العطاء و الخير وهو السخي الجيد. قال الكميت:

وانت كثير يا ابن مروان طيب

وكان ابوك ابن العقائل كوثرا

و يقال للغبار إذا سطع وكثر: كوثر[2].

---

(1) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ص123

(*) أ.سامي محمد هشام حريز. (ماجستير أصول الدين/ التفسير وعلوم القرآن)، الجامعة الأردنية.

(2) السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، مجلد (3)،حرف الراء، فصل الكاف من باب الراء.. (كثر) .. (الكوثر)، ص517

وأما معنى (الكوثر) في هذه الآية: فهو خاص بالنبي (صلى الله عليه وسلم) وقد ذكر له المفسرون ستة عشر قولاً أو أكثر، ولا يسع المقام في ذكرها هنا .

والموقف الصحيح للاهتداء إلى مدلول هذا اللفظ القرآني أن نرجع إلى :

- استعمال اللفظ في أصل اللغة .

- وإلى المأثور عن النبي (صلى الله عليه وسلم).

وبالنسبة لاستعمال اللغة: فهو -كما فهمنا- مشتق من الكثرة، فهو دال على الكثرة المبالغ فيها.

وبالنسبة للمأثور دلّ على أن معنى "الكوثر": نهر في الجنة . حيث أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: "أتدرون ما الكوثر؟ انه نهر وعدنيه ربي - عز وجل - في الجنة عليه خير كثير"[1]

فلم يبينه الرسول - صلى الله عليه وسلم- بالنهر فقط، بل نهر عليه خير كثير، فيكون المعنى: أعطيناك الخير الكثير، الزائد في الكثرة على العادة، ومن هذا الخير ما ادخرناه لك في الجنة، وهو نهر الكوثر .

فالتفسير المأثور و اللغة: تطابقا على أن المعنى: الخير الكثير. وهذا الفهم سبقنا إليه الصحابي ابن عباس - رضي الله عنهما - فعن ابن عباس - رضي الله عنهما- أنه قال في الكوثر: "وهو الخير الذي أعطاه الله إياه. قال أبو بشر: قلت لسعيد بن جبير: فان الناس يزعمون انه نهر في الجنة، فقال سعيد: النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله إياه"[2]

---

(1) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: كتاب: (الصلاة)، باب: حجة من قال: البسملة آية من أول كل سورة سوى براءة، (400/ 53)

(2) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: كتاب: التفسير، (4966)

و إذا أراد أحد أن يتتبع هذا الكوثر الذي أعطاه الله لنبيّه فهـو واجـده حيثمـا نظر أو تصور، فمن ذلك :

1.فضل الله عليه بالنبوة والرسالة .

2. فضل الله عليه إظهار الإسلام.

3. فضل الله بالقرآن الذي أنزل عليه .

4. فضل الله عليه بما حصل على يديه من المعجزات.

5. فضل الله عليه بإجابته لدعوته.

6.نور القلب والحكمة التي آتاه الله إياها .

7.أولاده من أمته إلى يوم القيامة .

8.بقاء ذكره في الملأ الأعلى، الذي يصلي عليه، ويصلي على من يـصلي عليـه في الأرض؛ حيث يقترن اسمه باسم الله تعالى في الأرض والسماء .

9.سنته الممتدة على مدار القرون في أرجاء الأرض.

10.وجوب شرعه؛ فدينـه فريـضة لا يخـرج عنهـا خاسـر، وشـرعه هـو الـصّراط المستقيم، من تركه فإن له معيشة ضنكاً في الدنيا ويحشر يوم القيامة أعمى.

11.وما سوف يعطيه الله إياه في الآخرة – ممّا هو فوق علمنا – مـن المقـام المحمـود والشفاعة والوسيلة ..

12.ومن جملة الكوثر: ما اختصه الله –تعالى–به من النهـر في الجنـة، الـذي طينتـه المسك، وآنيته عدد النجوم .وهذا النهر هو كوثر من الكوثر .

إنه الكوثر الذي لا نهاية لفيضه ولا حدّ لمدلوله، ممتد من الدنيا للآخرة .

فسبحان من اختار هذا اللفظ القرآني المعجز في هذا الموضع الوحيد في القرآن العظيم.

الخاتمة:

الحمد لله الذي منَّ عليَّ بإتمام هذا الكتاب، حمداً كثيراً طيباً والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وبعد:-

فإننا بعد هذه الدراسة المتواضعة للإعجاز البياني في القرآن، بفصوله التسعة - نقف لنقرر هذه الحقائق اليقينية الصادقة حول الإعجاز البياني بخاصة والإعجاز بكافة وجوهه بعامة:

إن القرآن الكريم معجز، وإن إعجازه لكل المخلوقين على اختلاف الزمان والمكان، وإن هذا الإعجاز مستمر حتى يرث الله الأرض ومن عليها، وإن هذا الإعجاز متجدد بحيث: -

- يجد فيه اللاحقون ألواناً ووجوهاً وإضافات ونماذج وأمثلة جديدة، وإن التقدم في العلم والاكتشاف والاختراع والمعرفة يزيد القرآن إعجازاً، ويزيد المؤمن يقيناً بالمصدر الرباني للقرآن الكريم.

أيضاً نجد أن مجال الإعجاز البياني واسع وممتع يستحق منا الدراسة والقراءة المتأنية والممحصة له، أيضاً بعد دراستي: وجدت أن هذا القرآن الكريم كنزٌ لا يفنى ونبعٌ لا ينضب، فعلومه، وإعجازه ودلائله باقية ولن تزول إلى يوم القيامة.

- وقد ازداد يقيني يقيناً وإيماني إيماناً، فإن الإسلام هو الدين القويم وأن القرآن هي المعجزة الخالدة وأن هذا القرآن هو الدستور الذي يجب على الأمة الإسلامية التمسك به والرجوع إليه كي يتحقق لها العز والنصر إن شاء الله.

فالآن:-

أقف لأُقرَّ الحقائق اليقينية الصادقة التي زاد يقيني وإقراري بها، بعد ما كتبت، ومن هذه الحقائق اليقينية:

1. أن القرآن كلام الله تعالى المعجز الذي نزّله على نبيه وعبده محمد صلى الله عليه وسلم لتكون معجزةً لهذا النبي الأمي إلى قيام الساعة.

2. ازداد حبي وتعلقي بهذا القرآن العظيم الذي فيه كل كلمة وكل حرف وما أقل من ذلك وما أكثر له معنى ورونق وله هدف وسبب وحكمة فعندما نقرأ القرآن الكريم، تذهب عنا كل الهموم وكل الشرور وتصبح صدورنا مليئة بالتفاؤل والأمل واليقين، قال تعالى ﴿ **يأيها الناس قد جاءتكم موعظةٌ من ربكم وشفاءٌ لما في الصدور وهدىً ورحمةٌ للمؤمنين** ﴾.

3. إن هذا القرآن خالٍ من أي حشوٍ وإطناب، وإن الذين يدعون الحشو فيه إنما هم أغبياء وحاقدين ومفرطين وإن الرد عليهم يكون بالحجة والدليل العقلي المنطقي.

4. إن هذا القرآن كما هو خالٍ من الحشو فهو خالٍ من أي زيادة حرف فيه، وكل حرف في هذا القرآن الكريم له معنى ولا يتم السياق بدون هذا الحرف وهذا يدلنا على إعجاز هذا القرآن المعجز.

5. إن العلماء الذين اهتموا بالإعجاز قدماء كانوا أم معاصرين كان لهم جهود مشكورة ولفتات طيبة وشذرات جيدة في إرساء قواعد هذا العلم وتشييد بنيانه وتوطيد أركانه ووقفات محمودة في وجه المغرضين والحاقدين.

6. إن الأمة الإسلامية ما زالت قوية ومتماسكة ورجالها فيهم الخير والفكر الصحيح الذي انبثق عنه العديد من الدراسات والأبحاث والكتب الإسلامية التي يستفيد منها الناس في كل زمان ومكان وفي كل المجالات والاختصاص.

7. إن الذين يدخلون في الإسلام كثيرون ومتعددون وهذا إن دلَّ فإنه يدلُ على صحة وصدق هذا الدين الحنيف وأن القرآن لا مجال للجدال فيه لأنه كلام الله تعالى جل جلاله.

فلهذا نرى الكثير من العلماء دخلوا في الإسلام عندما سمعوا آية قرآنية واحدة، هزّت وجدانهم فشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، فيجب علينا كمسلمين أن نحمد الله تعالى الكريم على نعمة الإسلام القويم.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

خاتمة الدراسة التحليلية:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد:-

فبنعمة من الله وفضل كبير تم الانتهاء من بحثي هذا وقبل الختام أود أن أبين بعض النتائج تم التوصل إليها:

1. إن القرآن الكريم معجزة خالدة إلى أبد العصور لا يستطيع الإتيان بمثلها، فيه العظمة والخشوع بقوله تعالى:

﴿ لو أنزلنا هذا القرآن على جبلٍ لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله ﴾

صدق الله العظيم.

2. بهذا القرآن تصدق نبوة رسولنا الكريم وعدم تكذيبه.
3. وبينت لنا (سورة الإخلاص) عظمة الله وعدم التفكير بالشرك به؛ لأنه جّلا وعلا نزيه عن كل ما نسب إليه من ولدٍ ووالد وصاحبة.

- تمّ بعون الله -

المراجع

1. الإمام ابن كثير: تفسير القرآن العظيم.
2. أبو بكر جابر الجزائري هذا الحبيب محمد "صلى الله عليه وسلم" يا محب. دار البيان الحديثة: ط1 هـ - 2002م
3. سامي "محمد هشام" حريز: نظرات من الإعجاز البياني في القرآن الكريم. دار الشروق: عمّان. ط1، 2006م.
4. سيد قطب في ظلال القرآن. دار الشروق للطباعة، ط12، 1406هـ. 1986م.
5. محمد علي الصابوني: صفوة التفسير. دار القرآن الكريم ط1، 1401هـ- 1981م.
6. د. صلاح الخالدي: البيان في إعجاز القرآن، دار عمار عمان، ط3، 1992م
7. د. فاضل السامرائي: بلاغة الكلمة في التعبير القرآني. دار عمار: عمان، ط1، 2002م.
8. محمد علي الصابوني: صفوة التفاسير. دار الصابوني: القاهرة، ط1، 1997م.
9. أ.د. فضل عباس وسناء فضل عباس: إعجاز القرآن الكريم. دار الفرقان: عمّان. ط1، 1991م.
10. أ.د. فضل عباس: لطائف المنان وروائع البيان في دعوى الزيادة في القرآن، دار النور: بيروت. ط1، 1989م.
11. د. إبراهيم الكوفحي: خواطر الرافعي في تفسير القرآن وإعجازه.
12. شبكة المعلومات العالمية.

13. محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير . الدار التونسية للنشر (بدون تاريخ).
14. الإمام أحمد بن زكريا بن فارس: مقاييس اللغة . تحقيق: شهاب الدين أبو عمرو .. دار الفكر: بيروت. ط1، 1994م.
15. الإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازي: التفسير الكبير. إعداد: مكتب تحقيق التراث العربي: بيروت. ط2، 1417هـ-1997م.
16. بهجت عبد الواحد الشيخلي: بلاغة القرآن الكريم في الإعجاز، إعراباً وتفسيراً بإيجاز . مكتبة دنديس: عمّان. الخليل .ط1، 1422هـ 1997م.
17. القرطبي: الإمام محمد بن أحمد الأنصاري . دار الكتب العلمية: بيروت، ط1، 1420هـ-2000م.
18. د. عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ): الإعجاز البياني للقرآن ومسائل نافع بن الأزرق. دار المعرفة: مصر. ط1، (بدون تاريخ)
19. الإمام عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز في علم المعاني. المكتبة العصرية: بيروت. ط1، 1421هـ -2000م.
20. مصطفى صادق الرافعي: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية. دار الكتاب العربي: بيروت. ط9، 1393هـ 1973م.
21. الإمام جار الله محمد بن عمر الزمخشري: الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. دار الكتاب العربي. ط1، 1987م.

- تم بحمد الله-